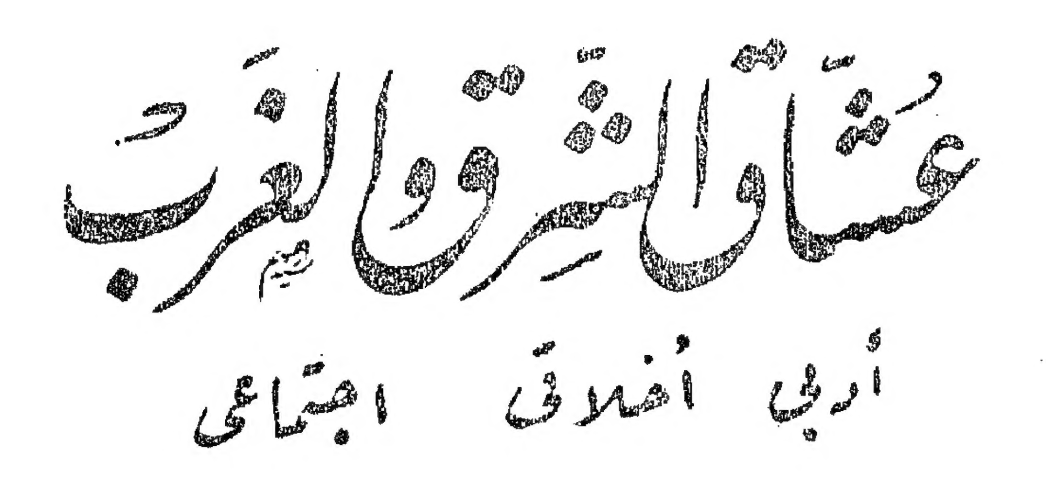


بقلم
محمد فوزي
دكتور في الفلسفة والآداب

عشاق الشرق والغرب

أدبي أخلاقي اجتماعي





بقلم

« محمد فوزي »

« دكتور فى الفلسفة والآداب »

(الطبعة الاولى)

١٣٤٦ - ١٩٢٧

يطلب من

مكتبة سعد مصر ومطبعتها

٢٩ شارع درب الجماميز القاهرة

مطبعة التقدم بدرب العنبة بشارع محمد على بمصر



العشاق قوم تفرغوا للحب . وانضموا تحت لواء هذا الملك العظيم المتسلح بتلك القوة النفسية الهائلة التى اتخذت شعارها الجمال . وجعلت سهامها رشقات العيون التى تفتك بالقلوب . وتلعب بالعواطف . . . . وكما يكون من رشقات هذه العيون المماوءة سحراً ، حتف عاجل ، وقتل سريع ، كذلك تهدي نورها اللامع الى القلوب . فتمتلىء سروراً وانتعاشا . . . واذا نظرنا الى الحقيقة الناصعة . وجدنا أغلب العشاق ماهم إلا من مشاهير البلاغة الاعلام . أساطين العلم . وفحول الشعراء

واذا تخيلناهم بالمعنى المقصود منهم . والوصف المنطبق عليهم . أصبح عندنا من العقائد الثابتة ان هؤلاء العشاق قد تفرغوا للحب . وواجب الأدب. كأنهم قضوا حياتهم فى دراسته وممارسته

ومن أدراك بلغة العشاق تلك اللغة المتكونة فى رقة ولطف ووداعة لايجدها الانسان في غير أوهام السحر

المتغلغل في النفوس الجامحة . التائهة في مجاهل الحب . وبيداء الحياة . أو في الشعر الخيالي المسترسل من مخيلة الشعراء

ان الفتى والفتاة متى هذبهما الحب . وعرفا كيف يهيمان بروحيهما في عالم الخيال . ويسبحان في بحار الحب الموهومة تملك كل منهما عواطف الآخر . وخلب لبه

ومن أدراك بالمرأة متى أحبت . ووجدت من يهيم بمحاسنها فانها من غير شك تستفز رجوليته . وترمي به الى أبعد مدى عواطف الحب

والمرأة من غير جدال هي التي تحرك في نفس الرجل عوامل الغرام . وتوقظ عواطفه بمحاسنها الخلابة ومداعباتها الرقيقة . وتمتعه حيناً من الدهر

وكتاب (عشاق الشرق والغرب) هو ذلك المنهل الذي يعب فيه كل ناهل . وترتوي منه جماعة العشاق الذين اشرفوا على الموت ظمأ في صحراء الحب القاحلة ؟

« المؤلف »

تمهيد

القصص وتأثيرها

تختلف القصص العربية . عن القصص الاوربية بحسب البيئة والعادات . واختلاف المذاهب والاديان . . بينما تجد المرأة الشرقية تلزم دائما عقر بيتها . وإذا خرجت تلتحف بأزاد أو حجاب حتى لا يراها الرجال والحجاب من غير شك هو ستر المرأة التي يلزم أن تكون درعية الجانب منيعة الحوزة وافرة العرض لئلا ترمقها الانظار وتستهدفها العيون . وتستهويها مهج الرجال فتضطر الى مجاراة رامقيها . وان احكام الدين الاسلامى الواردة بتستر النساء جالبة لمنافع عديدة . ومانعة من مفاسد متنوعة . حتى ان كثيرين من حكماء الاوربيين يقدرون هذا التستر حق قدره . وقد اتفقت آراء عظماء المسلمين بل ورجال الشرق باجمعه بوجوب ستر المرأة بالحجاب الذى يحجبها عن الناس بحيث لاتقع اعينهم عليها لزعمهم أن النفوس تطمع في كل شيء حسن . وتتعشق كل طلعة جميلة والرجال جميعا يميلون الى مغازلة النساء . ويهيمون بالفتاة

الرائعة الجمال . وهى مستورة بحجاب . فما بالك إذا مرت أمامهم بقامتها الهيفاء . حاسرة الرأس مكشوفة الوجه . انها ولا شك تسبي عقولهم

وجري رجال الشرق فى حجاب نسائهم على طرائق مختلفة . ووجدوا فى الحجاب فائدة عظيمة هى صيانة الاعراض وما من أحد ينكر اجتماع فتى وفتاة فى مكان واحد الا وحدث بينهما تيار غرام شديد تتولد منه المحبة الهائلة ولا يقطعه الا الوصال

وليس فى سعة الانسان مغالبة شهواته بالوازع العقلى ولا بالوازع الدينى . ولهذه الاسباب حاذر الشرقيون على الحجاب . وحذروا النساء عن تركه . بينما الفتاة الغربية تخرج من بيتها فتمر في الشوارع والطرقات • وتذهب الى الاسواق والحانات • والمقاصف والفنادق سافرة الوجه عارية الذراعين والصدر تميس دلالا • وتتيه عجبا وتوادد الرجال والشبان على مرأى ومسمع من والديها وذويها متى كانت عذراء وأمام زوجها إذا كانت ذات بعل ولا يغار عليها من أحد مهما اختلت به • ومهما تلاعبا وصارت بينهما رابطة محبة قوية

وعلى كل فالقصص التاريخية (والروايات) مهما كان أمر المبالغة فيها فهى شطر من التاريخ تتجسم فيها الشجاعة والشهامة والوفاء ، والغدر ، والخوف والجبن ، والمحاسن والمساوى ، وتحض بوجه الاجمال ، على الآداب والكمالات ومكارم الاخلاق

وهنالك روايات خيالية ، أو خرافية لا يقبلها العقل .. منها ماهو على لغة الطيور ، ومنها ماهو علي لغة الحيوان ومنها ماهو في حالات مستحيلة لا يمكن أن تتأتي لمخلوق ، ولكنها لاتخلو من مواعظ حسنة ، وامثال باهرة ، يقتدي بها العاقل ويسترشد بها الاديب

وهاهى قصة عنتر مثلا فقد تحوطت فى الخيال كثيراً وذهبت في الحب والشجاعة مذاهب شتى ، ولكنها فى حقيقة الواقع تمثل آداب الجاهلية العالية ، وأخلاقهم وحروبهم وضعها رجل يدعى يوسف ابن اسماعيل في القرن الرابع للهجرة في عصر الخليفة العزيز بالله الفاطمى ، وتفرعت هنالك عدة قصص غرامية حافلة بمآثر الشجاعة والمروءة والكرم والوفاء ، وحسبك من قصة المهلهل ، وناهيك بقصة قيس

وجميل وبثينه ، وثوبة بن حمير ، وليلى الاخيلية وان كانت هذه القصص داخلة فى التاريخ وتدل على حقيقة وجود ابطالها ووقائعها الا أنها مع ما لبست ثوب الحقيقة فهى حالة من الصدق اقرب منها إلى الخيال كما ستراه مبينا فى قصص هؤلاء العشاق وسيتضح لك الفرق بين الشرق وعظمته ، والغرب ومدنيته



المرأة والرجل

(المرأة) هى ذلك المخلوق البديع الحسن الهندام التى لولاها ماعرف الناس للحياة قيمة . ولاأدرك العالم لذة الوجود بل هى لذة الشباب . وجمال الايام وزهرة الدنيا . ونعيم الحياة التى تغنى بها الرجل فى غدواته . وروحاته . وتغزل في جمالها بأحسن الاوصاف . وهام بحبها فى كل واد (المرأة) هى عنوان سعد الرجل . وغاية مرامه . وأول من هام بها . وتفانى فى حبها . وما خلقها الله الا للذته تؤانسه فى وقت الوحشة وتسليه في أرض الغربة . . ان المرأة هى للرجل كل شيء . وانه بدونها ليس بشيء . ولولاها ماكان له أثر فى الوجود . وهى سلطانة القلوب وحاكمة العواطف . التى متى هام بها الرجل . نبذ كل غاية وسعى في سبيل هواها خاضعاً لسلطان جمالها الفتان

يتخذ الرجل المرأة زوجة له . بل رفيقة في الحياة تساعده في السراء والضراء فيصون بها دينه ودنياه ويحصن بها فرجه ويحفظ ماله . ويبقي له من نسله منها ذكراً خالداً . واسما باقيا

فهي أليفته وصديقته . المشاركة له فى أفراح الحياة واحزانها

وكذلك تتخذ المرأة الرجل زوجاً لها يحميها من طوارىء الحدثان ومصائب الايام . ويكون اذ ذاك لديها فى مقام أبويها متكفلا براحتها وهنائها . فتضع ثقتها به . وتجعل نفسها وقفاً عليه . ومتى سارا على النهج القويم . واخلصا لبعضهما فى الحب وتبادلاه فيما بينهما . وقام كل منهما بواجباته نحو قرينه بصفاء نية . وحسن طوية . وسلكا مسلك الامانة فيما بينهما عاشا فى سعادة لايشوبها كدر وسرور لايمازجه عناء . : ولايخفى على كل عاقل وعاقلة ان الامانة هى سر الزواج المقدس . والحصن الحصين الذى يقيهما غوائل الشقاء والجفاء والويل لهما اذا عاندهما القدر . وحكمت عليهما الايام بالفراق فكم يكون عذابهما فى الحب عظيما . ومن أدرك فرعاً تعاجل المنية أحدهما . فيتبعه الآخر (ومنهم) فريق من العشاق يشقى أولا . ويحظى بغايته آخراً .

والواجب على الرجل والمرأة العمل يدا واحدة كل فيما يخصه فى سبيل السعادة فيتشاوران فيما بينهما بما يجب أن يفعلاه . ويكون الاتفاق رائدهما . والاخلاص غايتهما .

ولا تقاوم الزوجة زوجها اذا صمم على أمر ولا تبجح فيه بل ترضخ لأوامره. وتنصاع لرأيه احتراما لحقوقه وحسما للنزاع

وليعلم الازواج أن أبغض الحلال عند الله الطلاق فلا يرتكبونه الا اضطراراً. وليجتنبوا أسبابه وأضراره ذلك خير لهم وأوفى

الجمال

ليس أدل علي وصف الجمال من قول النبي صلى الله عليه وسلم (اطلبوا الحوائج عن حسان الوجوه

(وقال صلوات الله عليه) الله جميل يحب الجمال

(وقال ابن مرزاويه) الجمال من حيث هو — ثوب جلال: وعنوان وقار. وتمام نظام. ينعم الله به على من شاء من خلقه. في سمائه وأرضه. ويرفع به شأن المملوك على المالك والحقير على الامير

(وقال لبون) الجمال علة السكون. وسبب الحوادث العظيمة على سطح الارض. وربما تنشأ منه السعادة. وتتسبب البغضاء

(وقال حكيم) الجمال هو السبب الحقيقي فى كل دعوى وهو على العموم فتنه دائمة : ومحنة قائمة

(وقال الدكتور راك) الجمال قوة خفية . تسوق قلوب العشاق الى الاستعباد

(وقال سقراط) الجمال منحة تلعب بالعواطف وميول تتولد منها الغبطة والهناء

(وقال ديوجانس) الجمال علة كل مخلوق وهو غاية تنزع اليها النفس . وحاسة تتسرب حولها الظنون . وتميل اليها بالوجدان القلوب

(وقال اودجار) لقد طاش عقلى فى كيفية هذا الجمال وضلت عقول الفلاسفة في وصف معانيه

(الجمال) وهم من أوهام السحر ان لم يكن علة كل مخلوق تحت قبة السماء . وهو غاية ماتصبو اليه النفس لتنل حظها منه

(والجمال) من غير شك متعة من متع الحياة . بل هو نعمة من نعم الوجود . وان شئت فهو غاية يرتاح لها الجهاز العصبي . وكلما أزدادت موافقة الانسان فيه ازداد ارتياحه حتى اذا وافقه تمام الموافقة انتقل هذا الارتياح من دور

النظر الى حب وغرام وشغف

والشعور بالجمال يهز النفس الحساسة من أصولها ويخرجها عن أطوارها . ومثل ذلك وجودك في مكان أو سيرك في طريق فصادفت انسانًا جميلا لاتعرفه أو غادة حسناء فتاكة اللواحظ وبمجرد النظرة الاولى شعرت بارتياح ولوعة . ووجدت فى نفسك حاسة ارتياح الى المحادثة والمجالسة وكأن عاطفة شديدة تدفع بك الى التمتع بمشاهدة هذا الحسن البديع والجمال الفتان . وبواسطة هذا الانجذاب الروحى تحصل المودة . وتنتهى واجبات التعارف بينكما بسرعة غريبة . وما هى غير فترة حتى تتوطد بينكما دعائم الوفاق أليس ذلك من تأثير مغناطيس الجمال ؟ .. والجمال من غير جدال هبة ربانية . ومنحة صمدانية أوجده الله في أغلب مخلوقاته . وزين به أكثر موجوداته . وهو حلية بنى الانسان . وسعادة كل ذى شأن . بل هو معبود أرضى منظور مرضى موجود بين خلائق الارض . فى طولها والعرض . تعبده الدنيا والثقلان . وتعترف بقدرته الانس والجان .. فكم دك من عروش ملوكية . وحطم من تيجان قيصرية . وكم زلزل من

كالك وأوقع في مهالك وكم لعب أدواراً في السياسة وأرغم ملوكاً في الرياسة وله في القلب عروق حساسه تتغلب على كل عاطفة حساسه تعجز عنها فطاحل الابطال وأرباب الاموال . ولولاه ماشاعر ترنم . ولا خطيب تكلم . ولا فتى عاشق . وانكمد وامق . ان حل في مخلوق زاده كمالا . وأفعمه جلالا ورققه وأبدعه . وجعل القلوب مرتعه . تهتز له القلوب انشراحا وتقر به العيون ارتياحا وتخضع له القلوب القاسيه . فكم ولد من اشواق . ولوع من عشاق تخفق لرؤياه الجوانح حبا . فيملأها غراما وكربا . ويتسلط على المهج والارواح . متلاعبا بالقلوب والاشباح . كأنه ملك يفعل مايريد . والناس جميعا حوله عبيد . يتصرف فيهم كيف شاء . مظهراً عظمته اوفود الفضلاء . تتنوع به الطبيعة بأطوار بديعة . فيكسبها اشكالا عجيباً . ومنظراً غريباً . يندهش القلب لرؤياها . وينسحر اللب بمرآها وللطبيعة عشاق كثيرون في وديانها يهيمون

ومهما يكن ولوع الانسان بها عظيما وتأثيرها عليه جسيما فهنالك جمال آخر يستهوى الافئدة . وتشغف به القلوب حباً . الا وهو جمال المرأة التي جمعت شوارد اللطف . وامتلكت

زمام الخلاعة والظرف . فصارت للجمال مثالا . وللحسن نوالا . لانها تحل من النفوس اعماقها . ومن القلوب حباتها. فكان لها منه أكبر نصيب . وساعدها حتى صار عندها أقرب حبيب . فأكسبها طلعة باهرة . اليها العيون ناظرة والقى عليها أشعته اللامعة . فاصبحت فيها النفوس طامعة . ناهيك بالمرأة متى تم كمالها . وكمل هندامها وصارت على وصف القائل

ليس منها ما يقال لها * كملت لو ان ذا كملا
كل جزء من محاسنها * كائن من حسنها مثلا
لو تمنت في براعتها * لم تجد في حسنها بدلا

وهي المخلوق الانساني الرقيق التي حوت من الرقة والرشاقة مالا تجمعه الاشياء . ولو مثل للانسان أرق المعاني وأرقها وأجمل اللطائف وأدقها في صور محسوسة . واجسام ملموسة . لخطر بباله انها المرأة . رأس الجمال . وعنوان الكمال . التي جذبت القلوب بحسن عبارتها . وأسرت العقول ببهاء طلعتها .

ووراء هذا الجمال جمال باطن . أكثر تأثيراً في القلب.



الجمال

الجمال قوة خفية تسوق قلوب العشاق الى الاستعباد

والبشرة بصفاء الزجاج . وتغالت الشعراء في كثير من مبتدعاتهم فشبهوا الاعضاء بالحروف . كالقامة بالألف . والحاجب بالنون . والعين بالعين . والصدغ بالواو . والفم بالصاد والميم . والسنايا بالسين . والطرة بالشين . ثم انتقلوا الى ماهو أبعد من ذلك فشبهوا القدود بالمران والرماح . والعيون بالصفاح . أواليك قول الشعراء . في وصف محاسن هذه الاجزاء

قال بعض الشعراء

لاتكرر لحظاً اذا خلت وجها
ذا جمال وبهجة وبهاء
واغضض الطرف مثل أمر الله
تكرير اللحظ نصف الزناء

الابيوردى

وغادة كمهاة الرمل آنسة   تذود عنها سراة الحى من سبأ
اذا بدت سارقتها العين نظرتها
تلمح الصقر رعباً فوق مرتبأ
قالت وقد انكرت وجها يلوحه

طى المهامة ما للسيف ذا صدأ

فقلت لا تنكريه ان لى شيما

ترضيها ان سألت الصحب عن نبأ

أرجو وخصرك يهوى لا أرى فرجا

ان يروي الله ما اشكوه من ظمأ

الابيوردي

ونشوانة الاعطاف من ترف الصبا

تغير وشاحيها الخلاخل والقلب

اذا مضغت غب الكرى عود اسحل

وفاح علمنا ان مشربه عذب

ولبعضهم

ان ماس فالغصن بالاوراق مستتر

أو لاح فالبدر بالانواء محتجب

عذاره بسواد القلب منتقش

وخده بدم العشاق مختضب

لبعضهم

ومالى سوى عين نظرت لحسنها

وذاك لجهلى بالعيون وغرتي

وقالوا به في الحب عين ونظرة

لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

لبعضهم

لله خال على خد الحبيب له

فى العاشقين كما شاء الهوى عبث

أورثته حبة القلب الفتيل

وكان عهدى ان الخال لا يرث

وقال آخر

ومن وراء سجوف الحى شمس ضحى

تجول فى جنح ليل مظلم داجى

مقدودة حفظت أيدى الشباب لها

حقان دون مجال العقد من عاج

وللنوفلى

اذا اختلجت عينى رأت من تحبه

فدام لعينى ما حييت اختلاجها

وما ذقت كأسا قد علقت بحبه

فأشربها إلا ودمعي مزاجها

الشاب الظريف

وبين الخد والشفتين خال كزنجي أتي روضاً صباحا
تحير في الرياض فليس يدري أيجني الورد أم يجني الاقاحا

الصنوبري

ذات خد يكاد يدميه وهم
من مشير بالجد أو بالمزاح
في بياض وحمرة فكأن قد
صيغ حسنا من ماء مزن وراح

الصفي الحلي

لها وجه به آيات حسن وليس لعقدها في الحسن فسخ
وريحان العذار به حواش علي نار بها بالروح نسخو

لبعضهم

لقد فتكت عيون الغيد فينا ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا بسمر من أسنتها النهود

الابيوردي

وهيفاء ان قامت فمادت بخصرها

من الردف قال المرط ليس بعيد

وحدثنى أترابها أن ريقها

على ماحكى عود الاراك لذيذ

فاودع قلبي وصفهن علاقة فما انا من ذاك الحديث وقيذ

ابن أبي الاصبع

ولما اعتقنا رد دمعي لنحرها وديعتها فهى اللآلىء التي ترى

بكت ورنت نحوى فجرد لحظها

من الجفن سيفاً بالدموع تجوهرا

ولآخر

يقابل بدر التم منه بطلعة

هى البدر لكن حسنها منه أشهر

وفى خده ورد وفى الروض مثله

ولكن ماتحت النواضر أنضر

ولبعضهم

يحكى جنا الأقحوان الغض مبسمها

في اللون والريح والتفليج والاشر

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها

ما كان يزداد طيباً ساعة السحر

وللمهلبي

أقاتلتي بفتور الجفون ورمانتين على معصر

كحقين من لب كافورة برأسيهما نقطتا عنبر

ولبعضهم

فوق خديك دليل ان نهديك ثمار

مااختفى الرمان إلا وتبدي الجلنار

ولغيره

أذاب لهيب الخد منها بناره

لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر

وذاك برأى العين أما بلامس فلين حرير والنهود من الدر

ولآخر

وشربت كأس مدامة من عينها مقرونة بمدامة من ثغرها

وتمايلت فضحكت من أردافها

عجبا ولكني بكيت لخصرها

ولبعضهم

اذا ما مشت شبراً على الارض أرجفت

من البهر حتى ماتزيد على شبر

لها كفل يرتج منها إذا مشت

ومن كغصن البان منهضم الخصر

ولبعضهم

وحديثها السحر الحلال لوأنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

ان طال لم يملل به أو أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

الشريف الرضى

خذى حديثك من نفسى عن النفس

وجد المشوق المعنى غير ملتبس

الماء فى ناظري والنار فى كبدى

إن شئت فاغترفي أوشئت فاقتبسى

كم نظرة منك تشفي النفس عن عرض

وترجع القلب منى جد منتكس

تلذ عينى وقلبي منك في ألم

فالقلب فى مأتم والعين في عرس

لم الفؤاد حبيس غير منطلق

ودمع عينى طليق غير منحبس

علىَّ الزمان على الخلصاء يسمح لى
يوماً بذاك اللمى الممنوع واللعس

وللفرزدق

ومقلة شادن أودت بنفسى   كأن السقم لى ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفياً   لقتلى ثم يغمده النعاس

أمين الدين

إن كان قيد هواك أطلق أدمعى
فوكيل شوقى عاجز عن حبسه
أو كان منك الطرف أسهر ناظري
فلكل شيء آفة من جنسه

عون الدين الحلبي

لهيب الخد حين بدا لعينى   هوى قلبى عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا   وذا أثر الدخان على الحواشى

الشهاب محمود

وملولة بالحب لما أن رأت   أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم   أنا بالسقام وأنت بالاعراض

البحترى

ولما التقينا والنقا موعد لنا

تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها

ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

لبعضهم

وريم فاتك الاجفان يرنو ويبعث عابسا بالقلب لحظا

وعن فتك يهز الرمح قداً ويجلو رائق الصهباء لفظا

أبو الحسن التهامى

أبان لنا عن دره يوم ودعا

عقوداً والفاظاً وثغراً وأدمعا

وأبدي لنا من دله وجبينه

ومنطقه ماهي ومرأى ومسمعا

فقلت أوجه لاح من تحت برقع

أم البرق بالغيم الرقيق تبرقعا

الابيوردى

وقضيب بان ماس من مرح الصبا

فعليه أطيار القلوب تناغى

من لي به ترف الأديم مدلل رطب المرافق لين الارساغ

وشأ تميري اللواحظ لم يزل يسطو بسهم في الحشا رواغ

ابن الحاج النميري

أتوني فعابوا من أحب جماله وذاك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير ان جفونه مراض وان الخصر منه نحيف

لبعضهم

لها جيد أم الخشف ريعت فأقبلت
ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
وعين كعين الظبي فيها ملاحة
هي السحر أو أدهى التباسا وأعلق

ابن الرئيس

لئن كان من لؤلؤ ثغرها فان له صدفا من عقيق
وان كان من اقحوان النبات فان مراشفه من رحيق

ابن قلاقس

جمعت نكهته في ثغره عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده شفقا في فلق تحت غسق

الشاب الظريف

لما رأت عشاقها قد أحدقوا من حسنها بحدائق الاحداق

شغلت سوادعيونهم في شعرها
وتوشحت ببياضهن الباق

ابن الصائغ

لمثلى من لواحظها سهام لها في القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤاداً يموت المستهام بغير شك

لبعضهم

سفرت كما سفر الربيع الطلق عن
ورد يرقرقه الضحى مصقول
وتبسمت عن لؤلؤ في رصفه برد يرد حشاشة المتبول

ولآخر

سيوف الحاظه المرضى سفكن دمي
ولم يطق دفعها حولى ولا حيلى
لولا السقام الذى فيها لما فتكت
وربما صحت الاجسام بالعلل

ولغيره

ولا تحسبن الخال فى الشفة التى
يتيه بها المحبوب نقصا ولا خجل

ولكنها ختم على ما بثغره

من الدر والياقوت والشهد والعسل

لبعضهم

بيضاء تسحب من قيام فرعها

وتغيب فيه وهو وحم أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

ولآخر

بخلت لواحظ من رآني مقبلا برموزها ورموزهن سلام

فعذرت نرجس مقلتيه لأنه يخشى المذار لانه نمام

ولعمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه باذرع ومعاصم

ورنو بنجل للعيون كوالم

حسروا الاكمة عن سواعد فضة

فكأنما انتضبت متون صوارم

السراج الوراق

اغنتهم تلك القدود عن القنا

ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا

وحموا طروق الحى حتى لم يكن
مسرى الخيال اليه أمراً هينا

ولآخر

نسبوه حسنا للهلال وحسنه | للبدر ينسب لا بليت ببينه
فاذا بدا فالى هلال أصله | واذا رنى فهو الغزال بعينه

ولبعضهم

ومهفهف يحمى ورود رضابه | بصوارم سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية | فى خده سطراً من الريحان

ولغيره

جنت بمنظره البديع عيوننا | فتسلسلت بمدامع الاجفان
واخضر فوق الخد آس عذاره
فعجبت للجنات فى النيران

الابيوردى

نبيلة ماتواري الازر منها | صموت حجلها خفق حشاها
لها بيت رفيع السمك ضخم | به تزهى إذا نسبت أباها
أظن الخمر ريقتها وظنى | تحققه إذا قبلت فاها
متى ابتسمت تكشف عن أقاح | تقرظهن سارية نداها

صلاح الدين الصفدي

تقول له الاغصان إذ هز عطفه أتزعم أن الاين عندك مأوى
فقم نحتكم الروض عند نسيمه
ليقضي إلى من مال منا إلى الهوى

لبعضهم

يارب ان العيون السود قاتلتي وأن عاشقها مازال مقتولا
أني تعشقتها عمداً على خطر ليقضي الله أمرا كان مفعولا

الارجاني

سهام نواظر تصمى الرمايا وهن من الحواجب في الحنايا
ومن عجب سهام لم تفارق حناياها وقد جرحت حشايا
نهيتك أن تناضلها فاني رميت فلم يصب سهمى سوايا

الحب

(الحب) قوة عظيمه تسوق قلبا إلى قلب وخلقا إلى خلق كما تسوق قوة الجاذبية الحديد إلى المغناطيش . وإن من مقتضيات الحياة الدنيا أن يكون الحب متبادلا بين المحب والمحبوب . ومن متناقضات هذه المحبة أن يكون المحب مسرورا بتحمل الاوصاب والاشجان . إن كان فيها رضاء محبوبه

(ومن شروط هذه المحبة) أن تكون متعادلة بين الحبيبين ولو تأمل العاقل حق التأمل : لوجد المحبة المتبادلة بين الخلائق وبعضها . وبين جميع الموجودات سائرة في جميع العوالم الراقية وغير الراقية على سبيل الميول والعواطف . وللغايات دخل عظيم في اشجان هذه النفوس المتعطشة التى أشجاها الحب وهيهات أن ترتوى من بحر سرابه الغرار

(واعتقد بعضهم) أن الانسان يسعد بالحب أو يشقى وهذا وهم باطل . وتعليل لاحقيقة له لان المحب يقضى حياته فى عذاب مستمر . والحب كما قيل شقاء يستعذب العشاق عذابه . وكذلك من اعتقد أن الله سبحانه وتعالى منح الانسان



الحب

الحب شقاء يستعذب العشاق عذابه

هذا الحب ليتمتع به أو يسر فهو واهم ولو أدرك الحقيقة لاعتقد بل تأكد أن الله عز وجل ماوضع هذا الحب فى قلب انسان الا ليبتليه بويلات الوجد ويشق به دهراً طويلا ويجد من الحزن والألم مايعانيه العشاق في حياتهم التعسة الشقية .

(وزعم بعض الاطباء) أن الحب مغناطيس روحى لايتعلل جذبه بعلة ولكنه يسوق القلوب بقوة غريبه تفوق ادراك العقول . وتقصر عنها حقيقة الافهام (وللعشاق) مثل سائر هو فى مذهبهم تعريف الحب بمعناه الحقيقى . (إذا صحت المحبه : ولم يبق في المحب ولا حبه)

(والعشق) الفة رحمانية والهام شوقى أفاضه الله على كل ذى روح حساسة لتحصل به اللذة العظمى التى لا يمكن الحصول عليها إلا بتلك الالفة ولا يختص بنوع الانسان بل هو سار في جميع الموجودات من الفلكيات والعناصر . والمواليد الثلاث وهى المعدنيات والنباتات والحيوان

والعشق من حيث تعريفه انجذاب القلوب الى مغناطيس

الحسن البديع والجمال الفتان . وكيفية هذا الانجذاب غير محصورة . ولا مقيدة . ولا مطمع للانسان فى الاطلاع على حقيقتها وإنما يعبر عنها بعبارات تزيدها خفاء : وهو كالحسن فى أنه يدرك ولا يمكن التعبير عنه (وكثيراً) ما يلام العاشق في هواه : وتعذله العواذل في شجونه : ولو تمعن العقلاء في أمر العشق لوجدوا أنه اضطراري لا يلام عليه صاحبه ومن المؤكد الصحيح : إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقى عشقه غير مفارق له فهو لا يلام . . وتظهر على العاشق دلائل تنم على شجونه فتراه وقد شحب لونه . وتحول ورد خديه الى بهار . وهزل جسمه وربما يطيش به القدر فيشعر بسوء مصيره . فيكافح التوب ليتوقى الفراق وهو موقن بمصيره ويهجس بالبلاء قبل نزوله . وبالمصائب قبل حلولها . ويبكى عند ماينفرد بنفسه كالغريب النازح عن وطنه وعن عشرة جلسائه . ويجنح الى الابتعاد عن الناس . ويجد فى هذه العزلة تعزية وسلوى كأن الدهر رماه بسهم أصاب احدى داعيات هنائه . أو ضربه ضربة

هائلة . جرحت فؤاده . وسلبت سروره وطبعته على التعاسة المعنوية . وأحرمته لذة الراحة والهناء . ولذا ترى العاشق لايبالى بحوادث الدهر وصروفه . ولا يصغى الى قول عواذله ولو سل عليه اللؤماء مرهفات الاشاعات جريا على عادة كل عصر من عصور الحياة

واذا رشقت العاشق سهام العين ان من رحمة . وبكى من جفوه . وخضع لراميه صاغرا مستسلماً يسترحمه الرأفة والعدل . ولله در الشاعر العربي

بيض الصوارم تفدى الاعين السودا

فتلك لا تبتغى للقتل تجريدا

واسمر الرمح يفدي العطف منثنياً

فذاك لا يبتغى للقى تسديدا

هى المحاسن احلاهن أفتكها

بنا وأكثرها بطشاً وتبديدا

نهوى العيون كما نهوى المنون على

جهل ونحسب انا نعشق الغيدا

قتالة بالعيون النجل محيية
بالوصل لو ان من اخلاقها الجودا
غنية بوصال قد بخلن به
وطالما كان هـذا الامر معهودا
وكلما ازددن حسناً زدن فى بخل
كانما كان ذامع ذاك مولودا

والعجب كل العجب من تلك القلوب القاسية التى تطمح للمذابح العظيمة . وتشتاق الى وخز الاسنة وطعن الرماح كأنها تهتدى بالبريق اللامع عند امتشاق السيوف من اغمادها . ويطربها دوى المدافع كأنها صوت طبول أو نغمة موسيقى تصدح بانغامها الشجية . فى الرياض اليانعة . والحدائق الغلباء ان تلك اليد التى تشهر السيف تريد به الحتف وتطلق المدافع بكل شدتها فتبيد الخلائق . وتحصد الاجسام حصداً . وترسل القنابل المهلكة . والمفرقعات المبيدة فتسحق الناس سحقا . وتهلك الوف الالوف . ان هـذه الوجوه العابسة . والافواه المكشرة عن أنيابها فى ساحات الوغى وتلك الايادى القابضة على الموت وترسله

خطف أرواح العباد . هي نفس هذه الوجوه الناضرة . والثغور الضاحكة المستبشرة . وما تلك اليد التي ينفرج من بين ناملها الموت الا تلك اليد التي تضغط بلطف وعطف على يد الفاتنة الحسناء وأعجب من هذا وذاك كيف تصبح تلك النفوس السمجة . والقلوب القاسية . رقيقة في منتهى الضعف امام الاوانس الحسان . بدرجة تؤثر فيها اللحاظ فتجرحها تلك السهام الضعيفة وتؤثر فيها . حتى تراهم سجوداً امام هذه المحاسن الباهرة . والقامات المائسات

ومتى تسلط هذا الحب على قلوب أهل الهيام أعمى بصيرتهم وجعلهم في ليل دامس لا يهتدون إلى نور الحق وهو يكاد أن يخطف ابصارهم

ومن عجيب أمر الحب أنه إذا حل بانسان غادره مفتونا يحن إلى فاتنه . ومتى تمت شروط المحبة بين حبيبين طرحت الكلفة جانبا . وضاعت الحقوق والواجبات وأصبح المحب ومحبوبه كل منهما يستسهل عواطف الآخر وميوله ويتوهم كلاهما أن الحب مهما كان فهو ولا شك سيكون ممهداً لجميع الغايات

دلائل الحب

ودلائل الحب تظهر واضحة مهما احتفظ المحب ومحبوبه على اخفائها فلابد أنها تظهر واضحة . ومن المستحيل أنها تخفي على أحد. (وأول دليل) على ذلك أن المحب يناجي خيال حبيبه كلما انفرد بنفسه (ثانياً) يحتج إلى العزلة والانفراد (ثالثاً) يتخذ الاحزان سبباً لاشجانه وغرامه مطرقا برأسه كأنه يسجد لخيال من يهواه. ومن أدرك بذلك فربما في تلك اللحظة وفي اثناء الاطراق تتناجى الارواح باسرار الضمائر . على لسان القلوب . وافئده البصائر (رابعاً) إن أكثر عشاق الجمال قد تفانوا في الحب بدرجة تقصر عنها الافهام . حتى أصبح في قلب كل فرد منهم . وتر حساس يهتز إذا حركته نغمة من عوارف الحب . ومعنى من معاني المحاسن البديعة الخلابة (والمحبة) في نظر الفلاسفة ومن درس طباع الانسان سببا من اسباب نظام العالم في أمور الحياة الدنيا (قال) الله سبحانه وتعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة للقلوب

ومهما كانت حالة الانسان فى طاعة سلطانه أو أميره فان طاعته لمحبوبه تفوق كل طاعة أخرى . لان طاعة المحبة أفضل وأسهل من كل عاطفة أخرى

(وقال) بعض الفلاسفة (طاعة المهابة تنفر وطاعة المحبة تؤلف) ومن الواضح المقرر أن كل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا ، وإذا تعاونوا عملوا ، وإذا عملوا عمروا (ولبعضهم) أن ميل النفوس إلى ماتراه أو تظنه خيراً فهو خير ، وإلى ماتظنه أو تراه شراً فهو شر

(أقسام المحبة)

وتنقسم المحبة إلى قسمين (أحدهما) طبعى كما فى الانسان والحيوان والجماد (والثاني) اختيارى وذلك ما يختص به الانسان وأما مايكون بين الانسان والحيوان يقال له ألفة لامحبة ـ لان الحيوان يأتلف بطبعه فقط لانه لا يعقل

وللمحبة بين المتحابين أنواع وأسبابها تكون بعدد أنواعها واختلاف أنواعها بقدر اختلاف الطمع فيها ومتوحد الغرض ماهو إلا المنفعة الذاتية العائدة على الانسان منه ،

وقد أجمع علماء البحث في هذا الفن على أن المحبة مهما تنوعت اسبابها لا تخرج عن جنس واحد اختلف نوعه ، وتوحد قصده ، وقسموها إلى أربعة أقسام

(القسم الاول) ينعقد سريعاً ، وينحل سريعاً ، كما فى الصفراويين

(القسم الثانى) ينعقد بطيئاً ، وينحل بطيئاً كما فى السوداويين

(القسم الثالث) ينعقد سريعاً ، وينحل بطيئاً كما في الدمويين

(القسم الرابع) ينعقد بطيئاً وينحل سريعاً كما فى البلغميين

وانما تقسمت المحبة الى هذه الانواع لان مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم ثلاثة وهى (١) اللذة (٢) الخير (٣) المنفعة ويتركب بينها رابع وهو التعاون على اسباب الوصول الى المحبة . فاما المحبة التى يكون سببها اللذة فهى التى تنعقد سريعا وتنحل سريعا لانها عند ماتنتهى اللذة انتهت المحبة بانتهائها . واما المحبة التى يكون سببها الخير فهى التى تنعقد

سريعاً وتنحل بطيئاً . واما المحبة التى يكون سببها المنفعة فهى التى تنعقد بطيئاً وتنحل سريعاً واما التعاون على الوصول الى المحبة فان كان فيها الخير فانها تنعقد بطيئاً وتنحل بطيئا

وهذه المحبة تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة وروية وبعضها يكون اضطراريا (والمحبة) اذا كانت مشتركة بين اثنين جاز فيها ان ينعقدا معاً وينحلا معاً وجاز أيضاً ان يبقى أحدهما وينحل الآخر ولا شك ان اللذة هى السبب فى ايجاد المحبة بين الرجل والمرأة ومتى تغيرت اللذة تغيرت المحبة وكل حب بنى اساسه على اللذة لا يكون له ثبات (والمحبة أربعة أجناس)

(الاول الشهوة) وأكثر مايكون الاحداث

(الثاني للمنفعة) وأكثر ما يكون بين التجار وأرباب الصناعات

(الثالث ما يكون مركبا بين حزبين) كمن يحب آخر للنفع والآخر يحبه للشهوة

(الرابع للفضيلة) كمحبة المتعلم للعالم وهذه المحبة باقية على مر الايام

والعشق ـ محبة بافراط ـ فاذا كان بحسب اللذة فيكون مذموماً . أو بحسب الفضيلة فيكون محموداً

خواطر في الحب

قد انعكست آراء الفلاسفة في أمر الحب (فقال بعضهم) ربما يوافق المزاج فيصبح الحب متعادلا بين الرجل والمرأة فينل كل منهما قسطه (وقال آخر) وربما في أحرج المواقف وأشدها هولا . يتفاني الرجل في حب المرأة متجرعا غضاضة كأسه حتى الثمالة

وعندما ينتهي الرجل من غرامه . يبتدىء حب المرأة فيظهر ويتواري حب الرجل . كما يتوارى الجمر تحت الرماد

وكل فرد يتعلق به هذا الحب لاينفك حزيناً ـ لان الحب من طبيعته يهيج الاحساس ويولد أشواقا غريبة تدور حولها كل قوى النفس الشديدة ـ ولا يكاد المحب يبلغ غايته وتنطفي جذوة هذه النار التي أضرمها الوجد حتى تبقى هذه القوي محلولة غير مربوطة ولا ممسوكة ومثلها كمثل جنود خسرت قائدها في حومة الوغى . وكل هذه المتفرقات الداخلة

تحت عواطف الحب والحنو والميول الأخرى تبقى ناقصة ولا تتم إلا إذا التحمت هذه الاجسام ببعضها. ونالت ما تشتهيه من لذة الوصال التي لا يلتحم الشوق بدونها ولا يكون للغرام سبيل الى القلوب إلا بواسطتها. والحب بغير وصال. كلمة في عرف المحبين لا معنى لها

إن شريعة الحب عند الرجل أن يأسر المرأة بقوته ويتغلب على عواطفها حتى تصبح خاضعة له ـ وأما عند المرأة فشريعته أن تتغلب على احساس الرجل حتى تراه ينقاد لها والعادة فى مذهب العشاق أن الرجل يتعب كثيراً من تحمل اعباء الحب ـ أما المرأة فتتعب من حبيبها في تقلباته وأطواره معها. والدليل على حب المرأة للرجل هو أن تسلمه نفسها

ومتى سلمته نفسها. واعتقد أنها مغرمة به فهو واهم لانها ربما هامت به لميل شهواني أو لغرض فى نفسها والمرأة هى تلك الآنسة النافرة التى مثلها الحكماء بانها ماكر حقود وشجاع رعديد. ومن عجيب أمرها فى الحب أنها تهتم بمن حنت اليه نفسها وإن كان ذميم الخلقة. خشن الطباع وربما تموت فيه هوى. وهو لا يفكر فيها

وربما تشمئز الطبيعة فمنهما من يتعلق باهداب حبها . ويشاطرها الهوى والهيام . ودليل حب الرجل للمرأة ميله اليها . ومتى أقسم لها يمين الاخلاص كان ذلك دليل صدقه أما المرأة فليس لها من دلائل الحب إلا مضحيات معنوية غير محسوسة . ولا ملموسة . ولا مصدوقة

وكثيراً مانرى في النساء عادة من أوخم العادات وهي خلف الوعد . والنكث بالعهد . اللهم إلا فيما ندر منهن .. وللحب غايات لايدركها الانسان فكل ماقيل فيه انه كالزمان لايدوم على حال

شروط المحبة

ومن شروط المحبة أن المحب يقوم لحبيبه بكل مايتطلبه
ويقدر عليه بحيث يكون المحب آمنا مطمئناً مستريحا . .
وأفضل الاحباب من لايشكو إلى محبوبه شدة غرامه.
ويجهر له باشواقه ليعتقد أنه يهواه . وانما يفعل معه الافعال
الطيبة التى تكون أصدق دليل تبرهن للمحب ميول حبيبة
له وتظهر هذه المحبة واضحة جلية من خلال حنوه وانعطافه
فيشكر له هذه العاطفة ويمدحه على ما اسدى اليه من
معروف . وقام من مودة واخلاص . وهكذا يكون شأن
المحب مع المحبوب . وقال الشاعر

زاد معروفك عندى عظما انه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهور كبير

* * *

ومن زعم أن الحب لاتشيد اركانه إلا فى مدة طويلة
فقد ضل وافترى على الناس كذبا لان الحب أساسه نظرتين
الاولى من عين الرجل . والاخري من عين المرأة . وماهى

ألفت به وقع الصفاح فراعها
جزعاً وما نفارت جراح حشائي

أمصيبة منا بنبل لحاظها ... من اخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قدرأيت وفي الحشا ... اضعاف ما عاينت في الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة ... نجلاء أو من مقلة كحلاء
ان الصوارم واللحاظ تعاهدا ... ان لا أزال مزملا بدمائي

حرف الباء

أبو الحسن التهامي

إعاصي الهوى في حال نومي ويقظتي
فسيان عندي وصلها والتجنب
لحى الله قلبي ماله الدهر عاكفاً
عليها ومن شأن القلوب التقلب
ولم انسها تصفر من غربة النوى
كما اصفر وجه الشمس ساعة تغرب
فقد شف من تحت البراقع وجهها
كما شف من تحت الجهامة كوكب

يبين ويخفى في السراب كأنه ‏ ‏ سنادرة في البحر تطفو وترسب

ولبعضهم

بنيت ضمائرنا على كتم الهوى ‏ ‏ ولها استتار واجب لا ينصب

رام العدا اعرابها مني فهل ‏ ‏ أبصرتم ان الضمائر تعرب

ولآخر

عسى أوبة بالشعب أعطى بها المنى
كما كان قبل البين يجمعنا الشعب

وماذات فرخ بان عنها فأصبحت
بذي الايك تكلى دابها النوح والندب

بأشوق من قلبي اليكم فليتني
قضيت أسى أو ليت لم يكن الحب

(حرف التاء)

لبعضهم

ولي كبد مكلومة لفراقهم ‏ ‏ اطامنها صبراً على ما أجنت

تمنتهم صبراً اليهم وصبوة ‏ ‏ عسى الله ان يدني لها ما تمنت

أبو العتاهية

يقول أناس لو نعت لنا الهوى ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
سقام على جسمى كثير موسع ونوم على عيني قليل مفوت
اذا اشتد مابي كان أفضل حيلتي
له وضع كفى فوق خدي وأسكت

(حرف الثاء)

ولبعضهم

ترى المحبين صرعى في ديارهم
كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق انهم
صرعى من الحب أو موتى لما حنثوا

الارجاني

واها العصر العامرية بالحمى والعهد لولا انه منكوث
كيف السلو وبابلى لحاظها بالسحر في عقد القلوب نفوث
بيضاء فاتنة لصخرة قلبها في ماء عيني لو تلين أميث (١)
مقسومة شمساً وليلا ان بدت للناظرين فواضح واثيث (٢)

(١) الاميث — اللين
(٢) الاثيث - الطويل العظيم

فالشمس من حيث الهلال تحوطه
والليل من حيث الخمار تلوث
ودّ الهلال لو انه طوق لها والنجم لو أمسى بها الترعيث

لبعضهم (حرف الجيم)

ولاؤكم مذهبي والحب منهاجي
فهل لمنهاج هذا الصب منهاج
ياسادة لا اداجي فى محبتهم لو قطعو بسيوف الصد اوداجي
لى في حمى ربعكم بالرقتين رشا عنى غنى واني أى محتاج
لما تجلى انجلى من نور طلعته ليل الدجى بسراج منه وهاج

ولبعضهم

نسمات هواك لها أرج تحيي وتعيش بها المهج
وبنشر حديثك يطوى النم عن الارواح ويندرج
وببهجة وجه جلال جمال كمال صفاتك ابتهج
لا كان فؤاد ليس يهيم على ذكراك وينزعج

(حرف الحاء)

الابيوردى

فؤاد دنا منه الغرام جريح وجفن نأى عنه الرقاد قريح

فالوجد قلبي والمدامع للبكا   اذا لاح برق أو تنفس ريح
أكلف عيني ان تجود بمائها   واني به لولا الهوى لشحيح
ويعذلني خلي ويزعم انه   نصيح وهل في العاشقين نصيح
ولو أنصف الواشون رق لذي شجى
خلي وما لام السقيم صحيح
فما لغراب البين ينعب بعدما   أتت دون من أهوى مهامه فيح

حرف الدال

لبعضهم

يلومونني في حب سلمى كأنما   يرون الهوى شيئاً تعنيته عمدا
الا انما الحب الذي في جوانحي   قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

ابراهيم بن النقيب

يا تاركا جسدي بغير فؤاد   أسرفت في الهجران والابعاد
ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد
أو كان منعك الزيارة أعين
فادخل الى بعلة العواد
كيما أراك وتلك أعظم نعمة   ملكت يداك بها منيع قيادى

حرف الراء

عبد الله ابن عبد الله بن عتبه

تغلغل حب عتمة في فؤادى ... فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور
أكاد اذا ذكرت العهد منها ... أصير لو ان انسانا يطير
غنى النفس ان ازداد حبا ... ولكنى الى وصل فقير

ولبعضهم

العين أصل عناها فتنة النظر ... والقلب كل أذاه الشغل بالفكر
كم نظرة نقشت فى القلب صورة من
راح الفؤاد بها فى الأسر والحذر
والمرء مادام ذا عين يقلبها
فى أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ماساء مهجته ... لا مرحبا بسرور رجاء بالضرر
فالقلب يحسد نور العين اذ نظرت
والعين تحسده حقا على الفكر
يقول قلبي لعيني كلما نظرت ... لا تنظرين رماك الله بالسهر

فالعين تورثه هما فتشغله   والقلب بالدمع ينهاها عن النظر

هذان خصمان لا أرضى بحكمهما

فاحكم فديتك بين السمع والبصر

(حرف السين)

ابراهيم بن النقيب

يالابسا ثوب الملاحة أبله   فلأنت أولى لابسيه بلبسه

لم يعطك الله الذى أعطاكه   حتى أضر ببدره وبشمسه

مولاك يامولاى صاحب لوعة

في يومه وصبابة فى أمسه

دنف يجود بنفسه حتى لقد

أضحى ضعيفا أن يجود بنفسه

ولبعضهم

ومهفهف الحاظه وعذاره   يتعاضدان على قتال الناس

سفك الدماء بصارم من نرجس

كانت حمائل غمده من آس

(حرف الشين)

لابو هتان

أخو دنف رمته فأقصدته سهام من جفونك لا تطيش

فواتك لا يقال سوى أحورار

بهن ولا سوى الاهداب ريش

أصبن فؤاد مهجته فأضحى سقيما لا يموت ولا يعيش

كئيباً أن ترحل عنه جيش من البلوى أناخ به جيوش

(حرف الضاد)

الشهاب محمود

عريب سبوا نومي فلم تدر مقلتي

كما سلبوا قلبي ولم تشعر الاعضا

وطلقت نومى والجفون حوامل

فمن أجل ذا في الصحو أبقت لها فرضا

ولبعضهم

أوده ود صحيح وهو عني متغاضي

فهو في الظاهر غضبان وفي الباطن راضي

الشاب الظريف

للعاشقين باحكام الغرام رضا فلا تكن يافتى بالحب معترضا

روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا

قف واستمع راحا أخبار من قتلوا

فات في حبهم لم يبلغ الفرضا

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا

فسام صبر فأعى نيله فقضى

(حرف الطاء)

الكيواني

بنفسي جيرة شطوا فأقفر منهم السقط

يشوب رضاهم سخط فعين دنوهم سخط

قضوا أن لا يصاحب من يخالف حبهم بسط

لقد شطوا بما حكموا واقديهم وان شطوا

بروحي جائر منهم وعندي جوره قسط

على عشاقه أبدا بسيف صدوده يسطوا

بقيه سمط در دو نه شهدوا واسقط

ابو الفضل ابن وفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط من قلبه بحبال الشعر مرتبط

قد رق لي خصره المضنى فناسبني

فقلت خير الامور الانسب الوسط

وقد خفى الردف عنى من تثاقله
فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا
والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة لنا   رمانها فيه قلبي أمره فرط
أن الصواب لتعجيل السرور فقم
قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

حرف الظاء

الابيوردى

واها لليلتنا على عذب الحمى   ودموعنا شرقت بها الالحاظ
والعاذلات هواجع خاض الكرى
أجفانها وذوو الهوى ايقاظ
فسقى الحيا ومدامعى ربعابه
قست القلوب ورقت الالحاظ

حرف العين

الشيخ ناصيف اليازجى

تذكر المنحنى فانهل مدمعه   صبابة وانحنت للشوق أضلعه

وبات منذهلا يرعى النجوم فما
درى أفي الارض أم في الأفق مقعده
صب مضى النوم في أجفانه فجرت
في اثره عبرة منها تشيعه
إذا سرت نسمات الغور خرلها
وجداً فكان نسيم الروض يصرعه
يالابسا كل يوم ثوب زخرفة
ألبست مضناك ثوبا ليس يخلعه
لئن تكن نظرة جرت له ضرراً منذ القديم فتلك اليوم تنفعه
إذا تعمد أن يسلوك عارضه قلب اليك بذاك الحين يرجعه
وكلما اطبقت للنوم مقلته جفنا بعثت خيالا منك يقرعه
ما كان يرضى حديثا منك عن طمع
فصار يرضى حديثا عنك يسمعه

ولبعضهم

قلب يذوب ومهجة تتقطع وجوي يهيج به الفؤاد المولع
لي بعد من سكن الغضا نار الغضى
تطوى على الزفرات منها الاضلع

لو كنت يوم البين حاضر لوعتى
لرأيت كيف تصب تلك الادمع
هم أهرقوا دمعى المصون وأوقدوا
فى القلب غله وامق لاتنفع
وأخذت اذكرهم وبين جوانحى
كبد تكاد لما بها تتصدع
ويح المتيم من فراق أحبة عفت المنازل بعدهم والاربع
يتجرع المر الزعاف وإنما كأس المنون أقل مما يجرع

حرف الغين

الابيوردي

وغريرة كالظبي لاحظ قانصا فانصاع مختلس الخطى ويروغ
تكسو بياض الوجه صدغا حالكا
ذيل الدجى بسواده مصبوغ
وأنا اللديغ به فهل من ريقها لى نهلة يشفي بها الملدوغ

حرف الفاء

جلال الدين بن خطيب

شهدت جفون معذبي علالة منى وأن وداده تكليف

فسكتني لم آتاه عنه لانه خبرو واما لجفن وهو ضعيف

عبد الله ابن طاهر

خليلي للبغضاء حال مبينة وللحب آثار تري ومعارف

فما تنكر العينان فالقلب منكر

وما تعرف العينان فالقلب عارف

ولبعضهم

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم

فيزرعه التسليم واللطف

يسلى الشقيقين طول النأى بينهما

وتلتقي شعب شتى فتأتلف

ولآخر

حملت جبال الحب فيك واننى

لاعجز عن حمل القميص واضعف

وما الحب من حسن ولا من ملاحة

ولكنه شيء به النفس تكلف

(حرف القاف)

لبعضهم

قل للذين جفوني اذ هجبتهم
دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى في محبتكم
كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال آخر

يا من وهبت له روحي فعد بها
فرمت تخليصها منه فلم أطق
أدرك محبا بما ينجيه من تلف
قبل الممات فهذا آخر الرمق

ولبعضهم

لو ترى لوعتي وحزني ووجدي وغليلي وحرقتي واشتياقي
لتيقنت انني صادق الو دوفي بالعهد والميثاق

ولآخر

من كان لا يعشق الغزلان والحدقا
ثم ادعى لذة الدنيا فما صدقا
فان في العشق معنى ليس يدركه
من البرية الا كل من عشقا

لا خفف الله عن قلبي صبابته عن هويت ولا عن جفني الارقا

(حرف الكاف)

محمد ولي الدين يكن

الله ما أحلى دلالك رنت العيون فصن جمالك
نزهت عن هذا الورى زاتا فمن يرجو وصالك
لا يجعلوك مماثلا فالله لم يخلق مثالك
لم ترض في هذا الوجود مشابها حتى خيالك
تمشي فتطلبك اللحاظ وأنت اسمى ان تنالك
رحماك لا تشطط بنا اكثرت تيهك واختيالك
ان الملائك في السما تظل حاسدة كمالك
الله أعطاك الجلال ونحن عرفنا جلالك
لولا مخافة سبة تأتيك قلنا لا أبالك

(حرف اللام)

لبعضهم

بروحي هيفاء القوام مليحة تعامت فيها الحب والحب يقتل
لها مقلة كحلاء بالسحر أفعمت
فما تلتقي العينان الا ويعمل

أراها فاشفى من سقامى بنظرة
فمن لدعاة الطب عنى ينقل
بدت فكأن البدر ليلة تمه
سرى وكأن الظبى نحوى مقبل
بقد تحلى بالدلال وباليها
وجيد كجيد الرئم بل هو أجمل
وخصر تشكى من تسعف ردفها
وردف عليه الشعر افحم مرسل
بروض يشوق العاشقين جماله
فذا نرجس غض وذلك جدول
تعانقنى حتى تكاد حشاشتى تذوب هياما والمدامع تهطل
وأرشف من ثغر الحبيبة خمرة
ويطربنا فى ذلك الروض بلبل
وأقطف رمان النهود واثنى لاجنى تفاحا على الخد يحمل
وما العذول غير حسرة حاسد فماذا جناه الغزايان يعذل
فدعه يلاقى ما يلاقيه من عنا فهذا حبيبى عنه لا تحول

العباس ابن احنف

وإني ليرضيني قليل نوالكم … وإن كنت لا أرضى لكم بقليل

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم … من الود الا عدتم بجميل

ولبعضهم

وفي الظعائن مهضوم الحشا غنج

يخطو باعطاف كسلان الخطا ثمل

ظبي مشي الورد من خطى بوجنته

مشي اللواحظ من عينيه في أجلي

ابن الساعاتي

من الظباء اللواتي لا زمام لها

من اين يعرفن رعي العهد والذمم

بيض الترائب سمر الخط يحجبها

سود الذوائب حمر الحلي والنعم

ولآخر

لو أن قلبك لي يرق ويرحم … مات من ألم الجوي اتألم

ومن العجائب انني لا اسهم لي

من ناظريك وفي فؤادي اسهم

ياجامع الضدين في وجناته … ماء يرق عليه نار تضرم

عجبي لطرافك وهو ماض لم يزل

فعلى م يكسر عند ماتتكلم

ومن المروءة ان تواصل مدنفا والدهر سمح والحوادث نوم

ولبعضهم

لم أنس ان قلت من وجدى لها غلطا

ووجها مشرق في حندس الظلم

سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة

لتقرعن عليّ السن من ندم

حرف النون

عمر بن أبي ربيعه

حبكم يا آل ليل قاتلى ظهر الحب بجسمى وبطن

نظرت عيني اليها نظرة تركت قلبي لديها مرتهن

ليس حب فوق ماأحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أجن

ابن المستوفى

انفقت عمرى في سوالك وصرت من

ندمى أعض أنامل المغبون

الذنب لى فيما صنعت لانني أودعت قلبي عند غير أمين

ولبعضهم

والعيون التي تفيض من السحـ ـر شئونا تفيض منا العيونا

نحن لولا تلك العيون السواهى ما أفضنا من العيون العيونا

حرف الهاء

لبعضهم

أبيت أمنى النفس ان سوف نلتقى
وهل هو مقدور لنفسى لقاؤها

فان القها أو يجمع الله بيننا ففيها شفاء النفس منها وداؤها

ولآخر

شيعتهم فاسترابوني فقلت لهم
اني بعثت مع الاجمال أحدوها

قالوا فما نفس يعلوا كذا صعداً وما لعينك لا ترقا مآقيها

قلت التنفس من ادمان سيركم
والعين تذرف دمعا من قذافيها

روحى تسير اذا سارت ركائبكم
فان عزمتم على قتلى تحثوها

حرف الواو

لسان الدين ابن الخطيب

بما بيننا من خلوة معنوية

أرق من النجوي وأحلى من السلوى

ففي ساعة فى ساحة الحى وانظرى

الى عاشق لايستفيق من البلوى

ولبعضهم

يعز على الصب المتيم أن يري مقاماله يهوى تقلبه الاهوى

وصعب عليه أن يشاهد رغما

منازل من يهوى على غير مايهوى

لبعضهم حرف الام الف

ودعتنى باشارة وتحية وتركتنى بين الديار قتيلا

لم استطع رد الجواب عليهم عند الوداع وماشفين غليلا

لوكنت املكهم اذالم يبرحوا حتى أودع قلبي المخبولا

الشريف الرضى حرف الياء

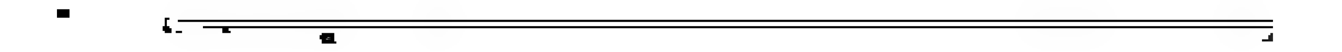
ومن حذرى لااسأل الركب عنهم

واعلاق وجدى باقيات كماهية

ومن يسأل الركبان عن كل غائب
فلا بد أن يلقي بشيراً وناعيا

ولبعضهم

لست أنسى الاحباب مادمت حيا
مذ نأوا للنوى مكانا قصيا
وتلوا آية الوداع فخروا خيفة البين سجدا وبكيا
ولذكراهموا تسيل دموعى كلما اشتقت بكرة وعشيا
وأناجي الآله من فرط وجدى كمناجاة عبده ذكريا
وهن العظم بالبعاد فهب لى ربي باللطف منك وليا
قد فرى قلبي الفراق وحقا كان يوم الفراق شيئاً فريا
واختفى نورهم فناديت ربي في ظلام الدجى نداء خفيا
لم يك البعد باختيارى ولكن كان أمراً مقدراً مقضيا
ياخليلى خلياني ووجدى أنا أولى بنار وجدى صليا
ان لى في الغرام دمعاً مطيعاً وفؤاداً صبا وصبراً عصيا
أنا من عاذلى وقلبي وصبري حائر أيهم أشد عتيا
أنا شيخ الغرام من يتبعنى أهده في الهوى صراطاً سويا
أنا ميت الهوى ويوم أراهم ذلك اليوم يوم أبعث حيا



(قيس وصاحبته ليلى)

هو قيس بن عامر بن الملوح بن مزاحم ويتصل نسبه الى كعب بن ربيعة بن صعصعة الشهير (بمجنون ليلى)

كان مديد القامة . جعد الشعر . أبيض اللون . حسن الصورة . (وصاحبته) هي ليلى بنت مهدي بن سعد تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة . وكنيتها (أم مالك)

وسبب عشقه لها . انه مر يوما على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بدار امرأة من قومه وعندها نسوة يأتنسن فلما أبصرنه أعجبهن شكله فسألنه النزول عندهن للمنادمة فنزل وجعل يحادثهن فاستملحن حديثه . وكانت بينهن (ليلى) فوقعت عينه عليها ولم يثن عنها طرفا . ووقعت في قلبه موقعاً عظيما . وشاغلته فلم يشتغل الا بها فتقرب منها وقال لها . هل عندكن ماتأكلن ؟ ... قالت . لا .. فعمد الى الناقة فنحرها وقطعها .. وجاءته لتمسك معه اللحم . فجعل يمر بالمدية في كفه حتى أعرقها . وهو شاخص فيها لا يشعر فجذبتها من يده ولم يدر .. ثم قال لها . ألا تأكلين الشواء؟

فقالت . نعم .. فطرح من اللحم شيئاً على النار الموقدة فوق الحجر [1] وأقبل يحادثها . فقالت له . انظر الى اللحم هل استوى أم لا ؟ ... فمد يده الى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر ... فلما علمت ماداخله صرفته عن ذلك ثم شدت يده بهدب قناعها . وقد داخلها الحب أيضا

وشعرت ليلى بالميل الى قيس فاقتربت منه وقالت .

هل لك في محادثة من لايصرفه عنك صارف !

فأجابها برقة وبشاشة . ومن لى بذلك

ثم انصرف وهو مشغول بها ... واستدعته مراراً للمحادثة معه ... وكانت مغرمة باشعار العرب واخبارهم ووقائعهم . وكان قيس أروي الناس لذلك . وبسبب المحادثة والمجانسة تحكمت بينهما روابط الالفة

(قيل) انه قصد يوما زيارتها فأبصر فى طريقه جارية عسراء فتطير منها وأنشد

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى

بجد القوى من ليل أعسر حاسر

---

(١) يقال لها الفضى

صريع الفصا جذب الزمان اذا انتحى

لوصل امرىء لم تقض منه الاواطر

وأخبرها بذلك فقالت له. لا بأس عليك . والله لااجتمعت بغيرك الا كارهة.

وامتحنته مرة لتنظر ماعنده من المحبة لها فدعت شخصا بحضرته فسارته. وصرفت وجهها عنه . فوجدته قد تغير حتى كاد ان ينفطر فانشدت تقول

كلانا مظهر للناس بغضا ‌ ‌ ‌ ‌ وكل عند صاحبه مكين

وأسرار الملاحظ ليس تخفي ‌ ‌ ‌ ‌ وهل تفرى بذى اللحظ الظنون

وكيف يفوت هذا الناس شئ ‌ ‌ ‌ ‌ ومافى الناس تظهره العيون

فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله. وانصرف وهو يقول

أظن هواها تاركى بمضلة

من الارض لامال لدي ولا أهل

ولا أحد أفضى اليه وصيتى ‌ ‌ ‌ ‌ ولا وارث الا المطية والرجل

محا حبها حب الالى كن قبلها

وحلت مكانا لم يكن حل من قبل

(ولما اشتهر أمرهما فى العرب) وشاع شعره فيها حجبوها

أهلها عنه ومنعوه عن زيارتها فداخله جنون

وكان قيس عند أبيه اعظم منزلة من اخوته. وكان أبوه ذا ثروة فدفع له مائة بعير براعيها مهراً لليلى فلم يقبل أبوها مع أنه دونهم (وماذلك الا لسنة سنتها العرب ولما يئس منها قلق قلقاً شديدا وهام على وجهه في الجبال لا يعقل غير ذكرها

(وقيل) انها هي ايضا جزعت عليه جزعا عظيما أدي إلى سقمها (وفي تلك السنة) حج بها أهلها فرآها رجل من ثقيف فخطبها منهم فأجابوه وزوجوه بها . فلم علم قيس بزواجها غم غما شديدا . وأنشد

دعوت الهي دعوة ما جهلتها ... وربي بما تخفي الصدور خبير

لئن كان يهدى بردا نيابها العلا ... لافقر مني انني لفقير

فقد شاعت الاخبار ان قد تزوجت

فهل يأتيني بالطلاق بشير

(وقيل) انه مر صدفة بحي بني عامر فأبصر زوج ليلى عند ابن له يصطلى نارا فوقف عند رأسه وانشد

بربك هل ضممت اليك ليلى ... قبيل الصبح أم قبلت فاها

وهل زفت اليك قرون ليلى ... زفيف الاقحوانة في شذاها

فقال الرجل ـ أما وقد حلفتني فنعم . . . فصرخ قيس وقبض الجمر بكلتا يديه . وسقط مغشيا عليه . .فقام زوج ليلى مهموما مغموما

(وقيل) ان قيسا لما اختلط عقله مزق ماعليه من الثياب وتوحش مع الوحوش فعز ذلك على أمه فجاءت الى ليلى وسألتها أن تزوره عساها أن تخفف مابه . فقالت لها ليلى ان ذلك متعذر خيفة أهلي وسآتيه ليلا . فلما امكنتها الفرصة أتته وكان هائما على وجهه يهذي بكلام غير مفهوم فسلمت عليه ثم قالت له

أخبرت انك من أجلي جننت وقد
فارقت اهلك لم تعقل ولم تفق

فرفع رأسه اليها وانشد

قالت جننت على رأسي فقلت لها
الحب اعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه
وانما يصرح المجنون في الحين
لو تعلمين اذا ماغبت ماسقمي وكيف تسهر عيني لم تلوميني

ثم فارقته فهام على وجهه مع الوحوش .

(وقيل) ان ليلى كانت على منزلة عظيمة من الحب بقيس والغرام به (حكى) رباح بن عامر وكان من الحرشيين قال . رحلت من نجد أريد الشام فاصابني مطر عظيم وظهرت أمامي خيمة عن بعد فقصدتها فاذا بامرأة فسألتها التظليل فأشارت لي الى ناحية من الخيمة فدخلت . وبعد هنيهة أقبلت تحادثني فقالت . ممن الرجل ... فقلت لها . من نجد فتنفست الصعداء ثم قالت . نزلت بمن فيها ! . فقلت ببني الحريش

فرفعت ستاراً كانت بيننا فظهرت امرأة هيفاء القامة جميلة الطلعة . حسنة الوجه . سمراء اللون قليلا . كأنها فلقة قمر . وقالت : أتعرف رجلا فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون قلت . أي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل الا ان ذكرت له ليلي ... فبكت حتى أغمي عليها . فقلت لها . مما تبكين ولم أقل الا خيراً . فقالت . انا والله ليلى المشؤومة عليه غير المساعدة له ثم أنشدت

الا ليت شعرى والخطوب كثيرة

متى رحل قيس مستقل فراجع

بنفسى من لا يستقل برحله ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

(وقيل) ان نسوة اجتمعن به يوما فقلن له . أما آن لك ان تنصرف عن هوى ليلى ليرد اليك عقلك فانها امرأة من النساء وفينا عنها كفاية . فاختر لك واحدة منا .

فقال لهن . لو ملكت ذلك لفعلت ولكنى مغلوب

فقلن له . ماأعجبك فيها

فقال . كل شيء رأيته وسمعته

فقلن له صفها لنا . فانشد

بيضاء آنسة الحديث كأنها قمر توسط جنح ليل مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد

ان الحسان مظنة للحسد

خود اذا كثر الحديث تعوذت

بحمى الحياء وان تكلم تقصد

وتري مدامعها ترقرق مقلة

سوداء ترغب عن سواد الأثمد

(وحكى) ان رجلامن قومه صادفه فقال له . اني قاصد
حي ليلى فهل عندك شيء تقوله لها
فقال قيس . نعم . انشدها بحيث تسمعك

الله يعلم ان النفس قد هلكت
بالياس منك ولكني أمنيها
منيتك النفس حتى قد أضربها وأبصرت خلفا مما امنيها
وساعة معك الهوها وان قصرت أشهى الى من الدنيا ومن فيها

(قال الرجل) فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني
الفرصة رفعت صوتي وأنشدت بحيث تسمع الابيات ..
فبكت حتى غشي عليها . ثم قالت . أبلغه مني السلام وأنشده

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت اذا
وكان غيرك يجزيها ويرضيها
صبراً على ماقضاه الله فيك علي
مرارة في اصطباري عنك اخفيها

(قال الرجل) فلما أبلغته ذلك بكى حتى غشي عليه
(ولما) آيس أهله منه أخذوا يحتالون على اصلاحه فقال
أبوه يوما لشخص . أريد ان تمر به فتتذكر له ليلى . وانك

من عندها وانها تذكره كثيراً . فاذا أعطاك سمه فاذكر له
انها تشتمه وتنقصه . فمساه ان يداخله كرها

(قال الرجل) فمضيت حتى اجتمعت وأعلمته بذلك
وذكرت له انها تنقصه وتشتمه فانشد

إذا هبت الارياح من نحو طيبة
أهاج فؤادي طيبها وهبوبها
فلا تعجبوا من لوعتي وصبابتي
هوي كل نفس اين حل حبيبها
حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئا ومغفور لليلى ذنوبها

(وقيل) لما حضروا به من مكة بات ليلة فجعل يحدث
نفسه كالذى فى حلم ويعاتب امرأة حاضرة . فقيل له فى ذلك
فاقسم بان ليلى كانت الى جانبه طول هذا الوقت ثم انشد

طرقتك بين مسبح ومكبر بحطيم مكة حيث كان الابطح
فحسبت مكة والمشاعر كلها وجبالها باتت بمسك تنفح

(وقيل) ان ليلى توفيت قبله ولما بلغه خبر وفاتها سقط
ميتا بين الاحجار . ولما علم أهله بموته احتمل وغسل ودفن
وحضر جنازته جميع بنى جعدة وسعد والحريش . وحضر ابو

ليلى معتذرا وقال انه لم يعلم بان امره يفضى الى هذه الحالة ولو علم لاحتمل العار وزوجه بها

ووجدوا في طيات ثيابه رقعة مكتوب فيها هذه الابيات:

ألا أيها الشيخ الذي مابنا يرضى
شقيت ولا هنئت من عيشك الخفضا

شقيت كما اشقيتني وتركتني
أهيم مع الهلاك لاأطعم الغمضا

كأن فؤادي في مخالب طائر   اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

كأن فجاج الارض حلقة خاتم   على فما تزداد طولا ولا عرضا

ومن محاسن شعره فيها

ومفروشة الخدين ورداً مضرجا
اذا جمشته العين عاد بنفسجا

شكوت اليها طول ليلى بعبرة   فابدت لنا بالغنج دراً مفلجا

فقلت لها مني على بقبلة   اداوى بها قلبي فقالت تغنجا

بليت بردف لست اسطع حمله   يجاذب أعضائي اذا ماترجرجا

وله أيضاً

انيرى مكان البدر ان افل البدر

وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجر

ففيك من الشمس المنيرة ضوءها

وليس لها منك التبسم والبشر

بلى لك نور الشمس والبدر كله

وما حملت عينيك شمس ولا بدر

لك الشرفة اللألاء والبدر طالع

وليس لها منك الترائب والنحر

ومن أين للشمس المنيرة في الضحى

بمكحولة العينين في طرفها فتر

واني لها من دل ليلى اذا انثنت

بعينى مهاة الرمل قد مسها الزعر

وله أيضاً

أحن الى لثم الثغور الضواحك

وأهوى عناق البيض لون السنابك

واصبوا الى ذات الصبا من صبابتى

اذا لم يكن لى فى الهوي من مشارك

يسموني مجنون عامر في الهوى
ولولا هواك كنت سيد مالك
حكمت فلا تطغين في دولة الهوى
والا فرقي واصنعي ما بدالك
وله فيها أشعار كثيرة في ديوان كله غرر ودرر

توبة بن حمير
وصاحبته ليلى الاخيلية

هو توبة بن الحمير بن أسيد بن عقيل الخفاجي . وخفاجة على ماذكر فخذ من قحطان

وكان توبة عاقلا لبيباً . وشاعراً مجيداً وشجاعاً رزيناً وسخياً فصيحاً مشهوراً بمكارم الاخلاق ومحاسنها (وصاحبته) هي (ليلى) بنت عبدالله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية المسمى الاخيل من بني عامر بن صعصعة . وهي من النساء البارزات في الشعر لا يتقدم عليها الا الخنساء ... كانت ليلى هذه طويلة القامة مليحة الشكل دعجاء العينين نجلاؤهما . حسنة المشية . وقد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة

وحفظ أنساب العرب وايامها واشعارها

(ومما قيل عنها) انها دخلت ذات يوم على عبد الملك بن مروان فقال لها . ماراي منك توبة حتى خطبك وهام فيك ؟

فقالت له ليلى . وانت ماراى فيك الناس كافة حتى ولوك الخلافة ؟

فضحك عبدالملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها

(وقال بعض الرواة) بينما معاوية بن أبي سفيان يسير يوما اذ رأى راكباً فقال لبعض شرطه ائتني به واياك ان تزعجه فأتاه فقال . أجب أمير المؤمنين ... فقال . اياه أردت . فلما دنا الراكب حدر لثامه فاذا ليلى الاخيلية وأنشأت تقول

معاوي لم أكد آتيك تهوى برحلي رادة الاصلاب ناب [1]
قريح الظهر يفرح ان يراها اذا وضعت وليتها الغراب
تجوب الارض نحوك ماتأتي اذا ما الاكم قنعها السراب
وكنت المرتجى وبك استعاذت
لتنعشها إذا بخل السحاب

فقال لها ماحاجتك ياليلى فقالت ياأمير المؤمنين ليس

---

(١) الناب المسنة من النوق . والنوق جمع ناقة

أرى السمر أحلى في فؤادي شمائلا
من البيض ربان العيون الفواتك
صرمت حبال الوصل ياام مالك (١)
فياليت شعرى أي واش وشى لك
ملكت فؤادي وامتحنت صبابتي
ومن دم قلبي قد خضبت بنانك
فلو كنت أدري ان قلبك سالم
من الحب مااحرقت قلبي بنارك
ولو كنت ادري اين انت مقيمة
من الارض لم يبعد على مزارك
فهل شاقك البرق الذى بديارنا
كما تبعت عيناى اثر جمالك
الا انه لو كان عندك بعض ما
تحمل قلبى من هواك لذابك
ولى تحت ظل الايك من جانب الحمى
مواقف تشكو شرح حالى وحالك

(١) ام مالك — كنية ليلى

فلما رجع اليه واستأذنه . واستشاط عليه غضبا وهم بقطع لسانه . ثم أمر بليلى فادخلت عليه فقالت كاد وعهد الله يقطع مقولى . وأنشدته

حجاج أنت الذى لا فوقه أحد
إلا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب ان نفحت
وأنت للناس نور فى الدجى يقد

فامر لها الحجاج بعشرة آلاف درهم

(واخبر اليزيدى) قال بينما كان الحجاج جالسا ذات يوم اذ استؤذن لليلى فقال الحجاج ـ أى ليلى ؟ فقيل له ـ ليلى الاخيلية ـ فقال . ادخلوها . فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين . حسنة المشية فسلمت عليه فرد عليها ورحب بها . وأمر الغلام . فوضع لها وسادة ثم قال لها . ما أقدمك الينا ياليلى ؟

فقالت ـ السلام على الامير . والقضاء لحقه والتمرض لمعروفه .

فقال لها ـ وكيف خلفت قومك ؟

أجابت ـ تركتهم فى حال خصب ، وأمن ، ودعة ،
أما الخصب . ففي الاموال والكل . وأما الامن فقد أمنهم
الله عز وجل بك . وأما الدعة ـ فقد خامرهم من خوفك ما
أصلح بينهم . . ثم قالت أأنشدك ـ فقال لها ـ اذا شئت
فانشدت

أحجاج لا يفلل سلاحك انما المنايا بكف الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها
اذا أحجمت يوماً وخيف أذاها
إذا سمع الحجاج صوت كتيبة
أعدلها قبل النزول قراها
أعدلها مصقولة فارسية بايدي رجال يحسنون غداها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم ولا الله يعطى للعصاة مناها
ولا كل خلاف يقلد بيعة فاعظم عهد الله ثم شراها

فقال الحجاج ليحيي بن منقذ لله بلادها ما أشعرها
ثم اقبل على جلسائه فقال لهم ـ اتدرون من هذه ؟

قالوا ـ لا والله . ما رأينا امرأة افصح . ولا أبلغ . ولا أحسن انشاداً منها

فقال الحجاج ـ هذه ليلى الاخيلية صاحبة توبة

ثم نظر اليها وقال ـ اي النساء تختارين أن تنزلى عندها

فقالت ـ سمهن لى

فسماهن لها . فاختارت هند بنت اسماء . فدخلت عليها فلما رأتها هند . صبت حليها عليها حتى اثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون سواها

ولما كان الصباح . قال الحجاج لعبيدة بن وهب حاجبه أمر لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة اثواب . احداها كساء خز

فقالت له ليلى ـ أصلح الله الامير ـ قد أضر بنا العريف في الصدقة . وقد خربت بلادنا . وانكسرت قلوبنا . فاخذ خيار المال .

فقال الحجاج ـ اكتبوا الى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة اجمال وليجعل احداها نجيبا . واكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته . وأمر لها بمائتين (يريد

غنما) فقالت ليلى — زدني — فقال الحجاج — اجعلوها ثلثمائة ... فقال بعض جلسائه . انها غنم ياليلى ... فقالت . ان الامير أكرم من ذلك وأعظم قدراً من ان يأمر لى الا بالابل . فاستحيا الحجاج وأمر لها بثلثمائة بعير . وقال لها . لو قلت فى شعرك

شفاها من الداء العضال الذى بها (همام) بدل غلام لكان أحسن

ولليلى الاخيلية أدبيات كثيرة . من درر القصائد النادرة . خصوصا (مراثيها فى توبة)

(وسبب ائتلافهما) ان آل توبة كانوا ينزلون ببنى الاخيل كعب بن معاوية . ويغزون معهم فغزوا يوما فلما رجعوا من الغزوة . حانت من توبه التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والاسفار للقاء القادمين من الغزو فرأي (ليلى) فافتتن بها . ونظرت هى فأحست بميل اليه وجعل يعاودها ويتحادث معها الى ان أخذت قلبه . وأطارت لبه شكا لها يوما مانزل به منها فاعلمته ان عندها أضعاف ماعنده فخطبها الى أبيها فأبي ان يزوجه اياها وزوجها لرجل من بنى الادلع . فساء الامر توبة لكنه أذعن لقضاء ربه . ولم تسمع منه ليلى

ذكر الزواج بعدها حتى فرق الموت بينهما . وأقاما على التزوار الى ان حجبها زوجها . فقلق توبة لذلك قلقا شديداً حتى خامره الجزع . وكاد يجن من شوقه اليها فجعل يزورها خيفة وعلى خفية . فلما اشتد التحريج عليها جعلت بينها وبينه امارة . فقالت . اذا مررت فوجدتني مبرقعة فاجلس مطمئنا فلا حرج حينئذ ... ثم اشتد حرص أهلها عليها وتوعدهم لها وأجمعوا ان يفتكوا به ... ونظرها مرة وقد خرجت فى يوم ميعاد بينها وبينه فرآها عن كثب وقد مرت سافرة فمضى فى طريقه مكتئباً وفي ذلك يقول من قصيدته

وكنت اذا مازرت ليلى تبرقعت

وقد رابني منها الغداة سفورها

(وقيل) انه شكا ذات يوم لبعض اصدقائه مايجد من حبها فاشاروا عليه بتعاطى الاسفار . والخوض فى المحادثات فعزم على السفر الى الشام

وما كاد يذهب الى الشام ويتغيب هناك بضع أيام حتى عاودته الاشجان وتاقت نفسه الى العرب وتذكر ليلى فكان دائما مكتئباً . ولم يكن له دأب الا البكاء . وانشاد الاشعار

ولما عاد الى البادية . مر بحى ليلى فقابل غلاما يلعب
فقال له . هل أنت عارف ليلى الاخيلية !

أجاب . نعم

قال . فامض اليها وأنشدها

(وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت)

وعد الى فاحسن منقلبك

فمضى الغلام . وأنشد البيت لليلى فهامت ان توبة
قد ورد الحمى .. فقالت للغلام ـ قل له انها الآن مبرقعة ـ
فمضى الغلام اليه فاعطاه دينارين واقبل يجدد زيارتها

(وقيل) انه اجتمع معها مرة وسألها قبلة . فانشدت

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها فليس اليها ماحييت سبيل

لنا صاحب لاينبغى أن نخونه

وأنت الاخرى صاحب وخليل

ففطن انها استرابت منه فاقسم انه لم يرد سوء . وان
نفسه قد حدثته أن يجربها فاستشاطت شوقا اليه ثم ودعها
على استحياء ومضى

وما كاد يستقر من سفره حتى عزمت خفاجة على غزو

الهذلين فخرج فقتل في الموقعة .. ولما وقع وبه رمق ادركه
ابن عم له فقال له ـ هل لك حاجة
أجاب ـ نعم تبلغ ليلى ما أقول وانشد

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة   من الدهر لا يسري الى خيالها

ثم مالبث قليلا حتى مات فتوجه ابن عمه الى حي ليلى
وأنشد البيت بحيث تسمعه ليلى فما أتمه حتى خرجت وأجابته

وعنه عفاربي وأحسن حاله   يعز علينا حاجة لا ينالها

ثم خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت وكانت
وفاة توبة (سنة ٧٠ من الهجرة) أما ليلى فماتت بعده بثلاثين سنة
(وقيل ان عبد الملك بن مروان دخل على زوجته عاتكة
بنت يزيد بن معاوية فرأى عندها امرأة بدوية انكرها
فقال لها من انت .. قالت . انا الوالهة الحرى ليلى الاخيلية
فقال انت التي تقولين

اريقت جفان ابن الخليع فاصبحت
حياض الندي زلت بهن المراتب
فلهى وعفي بطن قو وحوله
كما انقض عرش البين والورد عاصب

قالت ــ نعم أنا التى أقول ذلك . قال فما الذى أبقيت لنا قالت . الذي ابقاه الله لك . فقال وماذاك ــ قالت نسبا قرشيا وعيشاً رخيا وأمرة مطاعة أفردته بالكرم . قال أفردته بما افرده الله

(وقيل) انها دخلت ذات يوم على مروان ابن الحكم فقال لها ويحك ياليلى . لقد بالغت في نعت توبة . فقالت . أصلح الله الامير والله ماقلت إلا حقا . ولقد قصرت . وما لقيت رجلا قط كان أربط على الموت جأشا . ولا أقل ايجاشا يحتدم حين يرى باب الحرب . ويحمى الوطيس بالطعن والضرب وكان وعهد الله كما قلت

فتى لم يزل يزداد خيراً لدن مشى
إلى أن علاه الشيب فوق المسايح

تراه اذا ما الموت حل بورده
ضروبا على اقرانه بالصفايح

شجاع لدى الهيجاء ثبت مشايح
اذا انحاز عن اقرانه كل سايح

فعاش حميداً لاذميا فعاله وصولا لقرباه يرى غير كالح

فقال لها مروان ـ كيف يكون توبة على ما تقولين وكان حاربا والحارب سارق الابل خاصة . فقالت . ما كان حاربا . ولا للموت هائبا . ولكنه كان فتى له جاهلية . ولو طال عمره وانساه الموت لارعوى قلبه . و قضى في حب الله نحبه واقتصر عن لهوه . ولكنه كان كما قال عمه مسلم ابن الوليد

فلله قوم غادروا ابن حمير
قتيلا صريعا بالسيوف البواتر

لقد غادروا حزماً وعزماً ونائلا
وصبراً على اليوم العبوس القماطر

إذا هاب ورد الموت كل غضنفر
عظيم الحوايا لبه غير حاضر

مضى قدما حتى تلاقى بورده
وجاد بسيب فى السنين القواصر

فقال لها مروان يا ليلى أعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء . وشماتة الاعداء . فوالله لقد مات توبة وان كان من فتيان العرب وأشدائهم ولكنه أدرك الشقاء فهلك على أحوال الجاهلية ومن مراتبها فى توبة

نظرت وركن من بوانة [1] دونه
مفاوز حوضى أى نظرة ناظر

أوانس ان لم يقصر الطرف عنهم
فلم تقصر الاخبار والطرف قاصرى

فوارس أجلى شأوها من عقيرة
لعاقرها فيها عقيرة عاقر

فآنست خيلا بالرقى مغيرة سوابقها مثل القطا المتواتر

قتيل بنى عوف ويثبر دونه قتيل بنى عوف قتيل لجابر

أتته المنايا دون زغف حصينة وأسمر خطى وأجرد ضامر

على كل جرداء السراة وسابح لهن بشباك الحديد زوافر

عوابس تعدوا الثعلبية ضمرا
وهن سواج بالشكيم الشواجر

فلا يبعدنك الله توبة إنما لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

تواردة اسيافهم فكأنما تصادرن عن أقطاع أبيض باتر

من الهندوانيات فى كل قطعة
دم زل عن اثر من السيف ظاهر

فالا تك القتلى بواء فانكم ستلقون يوما ورده غير صادر

وان السايل اذ يبارى قتيلكم لموجومة من عركها غير طاهر
فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ماقتلتم آل عوف بن عامر
ولا تأخذ الكوم الجلاد رماحها
لتوبة في نحس الشتاء الصنابر
اذا مارأته قائما بسلاحه اتقته خفاف بالثقيل البهادر
اذا لم يجد منها برسل فقصره
ذرى المرهفات والقلاص النواجر
قرى سيفه منهن شاسا وضيفه
سنام البهاريس السباط المشافر
وتوبة أحيا من فتاة حيية وأجرأ من ليث بخفان خادر
ونعم فتى الدنيا وان كان فاجراً
وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها فيطلعها عنه ثنايا المصادر
فتى لا تراه الباب الفالسقيها
اذا اختلجت بالناس احدى الكبائر
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة
دعاك ولم يقنع سواك بناصر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ
قلائص يفحصن الحصى بالكراكر

ولم يبن ابراداً عتاقا لفتية
كرام ويرحل قبلهم في الهواجر

ولم يتجل الصبح عنه وبطنه
لطيف كطي السب ليس بحادر

فتى كان للمولى سناء ورفعة
وللطارق الساري قرى غير باسر

ولم يدع يوما للحفاظ وللندى
وللحرب يرمى نارها بالشرائر

وللبازل الكوماء يرغو حوارها
وللخيل تعدو بالكماة المساعر

كأن لم تكن تقطع فلاة ولم تنخ
قلاصا لدى باد من الارض غابر

وتصبح بموماة كأن صريفها
صريف خطاطيف الصدى في المحاور

طوت نفعها عنا كلاب وأثرت

بنا اجهلوها بين غاو وشاعر

وقد كان حقا ان تقول سراتهم

لما لاخينا عائشا غير عاثر

ودوية قفر يحاربها القطا تخطيتها بالناعجات الضوامر

فتالله تبنى بيتها أم عاصم على مثله احدى الليالى الغوابر

فليس شهاب الحرب توبة بعدها بغاز ولا غاد بركب مسافر

وقد كان طلاع النجادوبين

اللسان ومدلاج السرى غير فاتر

وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى

وسائق أو مغبوطة لم يغادر

فان يك عبد الله آسى ابن أمه

وآب باسلاب الكمى المقاور

فكان كذات البو تضرب عنده

سباعا وقد القينه في الحواجر

فان تك قد غادرته لك غادرا

واني لحى غدر من فى المقابر

فاقسمت أبكى بعد توبة هالكا
واحفل من نالت حروف المقادر
علي مثل همام ولابن مطرف
لتبكى البواكى أو لبشر ابن عامر
غلامان كانا استوردا كل سورة
من المجد ثم استوثقا فى المصادر
ربيعى حيا كانا يفيض نداهما
على كل مغمور تراه وغامر
كأن سنانا ريها كل شتوة
سنا البرق يبدو للعيون النواظر

* * *

واستنشدها أيضاً معاوية من شعرها فى توبة فانشدته جل قصائدها فيه فاعجب ببلاغتها

وسبب موتها (قيل) انها أقبلت من سفر مع زوجها فمرت بقبر توبة وهى فى هودج لها

فقالت ـ والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فصعدت أكمة عليها قبر توبة فقالت ـ السلام عليك يا توبة ـ ثم حولت

وجهها الى القوم

فقالت ـ ماعرفت له كذبة قط قبل هذه.

فقالوا ـ وكيف ذلك ؟ .. فقالت أليس هو القائل

ولوأن ليلى الاخيلية سلمت   علي ودوني جندلث وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقى

اليها صدى من جانب القبر صائح

فما باله لايسلم على كما قال ـ وكان الى جانب القبر بومة كامنة فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل فرمت بليلى على رأسها فماتت لساعتها . ودفنت الى جانبه

وكانت وفاتها سنة ثمانين للهجرة الموافقة لسنة ٦٩٩ ميلاديه

(جميل وصاحبته بثينه)

وهو جميل بن عبد الله بن عامر يتصل نسبه بقضاعة وكان شاعراً فصيحاً . منطقياً . صادق الصبابة . عفيفاً منزها عن الرذائل . عارفا بانساب العرب ووقائعها .. نشأ في قومه بني ربيعة بوادى القري بين مكة والمدينة . وصاحبته هى بثينة بنت يحى بن ثعلب وكانت من أجمل نساء العرب .

وسبب عشقه لها انه سرح ابله يوما بوادى البغيض وانسطح فأتت بثينة مع جوار يملان الماء فعبثت بثينة بفصيل له فتسابا . وهذا أخذ من قوله

وأول ماقاد المودة بيننا   بوادى بغيض يابثين سباب
وقلت لها قولا فجاءت بمثله   لكل كلام يابثين جواب

ثم شعر جميل يجذبه اليها . وشعرت هى أيضاً بانعطاف نحوه . ونما الحب بينهما فتغزل فيها . ثم خطبها من قومها فرد لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جري بينهما عشق فكان يأتيها سراً ويتحادثان معاً فعلموا به فاشتكوه الى مروان بن هشام الحضرمى ــ وكان والياً من قبل عبدالملك ابن مروان على تيماء فتوعده فمضى مستخفيا الى سيد من عذرة فأحسن مكانه وزين له سبع بنات رجاء ان يعلق بواحدة منهن فيزوجه بها فكن يرفعن الخباء اذا أقبل جميل ففطن لذلك فانشد

حلفت لكيما تعلمينى صادقا   وللصدق خير في الامور وانجح
لتكليم يوم واحد من بثينة   ورؤيتها عندى ألذ وأفلح
من الدهر أو أخلو بكن وانما   اعالج قلبا طامحا حيث يطمح

فقال الشيخ . ارخين الخباء فوالله لن يفلح أبداً (يعني لايرجع عن العشق)

ولما عزل مروان عاد الى الحي فجدد زيارتها سراً (وقيل) ان جميل ضرب موعداً لبثينة واجتمعا معا . وبينما هما في خلوتهما يتذاكران الحب . ذهبت الجارية فوشت بهما الى أبيها فاتي مع ابنه (أخيها) وقد اعتمد كل منهما سيفه لقتله . فاما جاءا بجانب الخباء سمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها ــ هل لك في طفء مابي بما يفعل المتحابان

فقالت له بغضب ــ لقد كنت عندي بعيداً من هذا . ولو عدت الى مثل هذا الكلام لن ترى وجهي أبداً . فضحك جميل ثم قال . والله ماقلته إلا اختباراً . ولو اجبت اليه لضربتك بسيفي هذا ان استطعت . والا هجرتك ــ أما سمعت قولي

واني لارضى من بثينة بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلى وبأن لااستطيع وبالمنى
وبالآمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي
أواخره لانلتقي واوائله

فقالا لبعضهما ـ لاينبغي لنا ايذاء من هذه حالته ولا منع التزاور بينهما . ثم انصرفا .. (وسأل عبدالملك بن مروان) كثيرا عن حال جميل وبثينة فقال ـ ياأمير المؤمنين ـ سايرته يوما اليها فلما وصلنا بالقرب منهم اقبلت مع نسوة فلما رأيته ولين . ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر ـ ثم قالت حين ازمعا الفراق ادن مني فدنا منها فاسرت اليه كلاما فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشد

فما ماء مزن من جبال منيعة ولا ما كنت في معادنها النحل

بأشهى من القول الذى قلت بعدما

تمكن من حيزوم ناقتى الرحل

(وعن كثير) قال ـ سألني جميل أخذ موعد من بثينة فقلت ـ هل بينكما موعد ٠ قال نعم بوادى الدوم وهى تغسل الثياب . فجئت أباها وهو جالس فحادثته قليلا ثم أنشد

وقلت لها ياعز أرسل صاحبي على نأي دار والموكل مرسل

فلا تجعلي بيني وبينك موعدا وان تأمريني بالذي فيه أفعل

وآخر عهد منك يوم لقيتني

بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فضربت سجاف البيت وقالت . اخسأ . فقال أبوها ماهذا قالت . كلب يأتينا من وراء هذه الرابية اذا نام الناس فمضيت إلى جميل فاخبرته بما حصل فاقبل اليها بعد أن نام الناس واجتمع بها (وعن ابن عياش) قال لقيت عجوزاً من بنى عذرة فقلت لها . هل تروي شيئاً عن جميل ومحبوبته

قالت ــ نعم ــ كنت يوماً وبثينة قد انفردت تبرم غزلا والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة الى الشام ــ وإذا برجل قد أقبل الينا فاستنبأناه فاذا هو جميل فقلت له ــ لقد عرضتنا ونفسك شراً فمن اين جئت ــ قال من هذه الهضبة ولى بها ثلاثة أيام انتظر الفرصة لاحدث بكم عهداً فاني ذاهب الى مصر فحدثتنا ساعة وهو لايتماسك فجئته بقدح فيه تمر فنال منه يسيراً : ثم ودع ومضى . فلم نلبث أن جاء اهل الحي

(وعن سهل الساعدي) قال قال لى رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه ــ فنظر الى وقال ــ ماتقول فى رجل لم يزن قط . ولم يشرب خمراً . ولم يسفك دما ويشهد أن لا إله إلا الله . وان محمداً رسول الله من خمسين سنة ــ فقلت . من هذا اظنه ناج ــ قال . أنا

قالت عجيب منك تشبب ببثينة هذه المدة الطويلة وأنت كذلك

قال ـ أنا في آخر يوم من الدنيا لا نالتني شفاعة محمد ان كنت

وضعت يدي عليها بريبة . وأكثر ما كان مني أن اسند يدها

إلى فؤادي ـ استريح ساعة ، ثم اغمى عليه فلما أفاق انشد

صرح النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول

قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

ولما حضرته الوفاة ـ قال من ينعاني إلى بثينة ؟

فقال رجل من الحاضرين ـ أنا فاعطاه حلته فذهب بها

الى الحي ـ ولما صار على مقربة من مكان بثينة أنشد

صرح النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول

قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

بكر النعي بفارس ذي همة ... بطل اذا حم اللقاء مذيل

فسمعته بثينة فخرجت مكشوفة الرأس وهي تقول

وان سلوى عن جميل لساعته

من الدهر لاحانت ولا حان حينها

سواء علينا ياجميل ابن معمر ... اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعي ـ ياهذا ان كنت صادقا فقد قتلتني وان

كنت كاذبا فقد فضحتني ـ فقال لها ـ والله اني لصادق ،
وأخرج لها الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها وأقبل .
نسوة يبكين معها ثم خرت مغشيا عليها ـ وافاقت بعد ساعة
وهى تقول

وان سلوي عن جميل لساعة
من الدهر لاحانت ولاحان حينها

سواء علينا يا جميل ابن معمر اذا مت بأساء الحياة ولينها

وما زالت تكرر هذين البيتين حتى ماتت

ومن محاسن شعره فيها

لقد ذرفت عينى وطال سفوحها
وأصبح من نفسى سقيما صحيحها

الا ليتنا كنا جميعاً وان نمـ
يجاور في الموتى ضريحى ضريحها

أظل نهاري مستهاما ويلتقي
مع الليل روحى فى المنام وروحها

فهل لى فى كتمان حبي راحة
وهل تنفعنى بوحة لو أبوحها

(كثير وصاحبته عزة)

هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن ابن الاسود الشهير بأبي جمعة يتصل نسبه الى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة المشهور أحد أولاد الازد . ومن أجداده عمر ابن ربيعة الذى دعا العرب عن دين ابراهيم الى عبادة الاصنام . واقترح السوائب والبحيرة . (وصاحبته) هى عزة بنت جميل بن حفص ابن اياس بن عبد العزى يتصل نسبها الى عبد مناف .. علقها جارية قد كعب نهداها بدليل قوله

نظرت اليها نظرة وهى عاتق
على حين ان شبت وبان نهودها

نظرت اليها نظرة مايسرني
بها حمر انعام البلاد وسودها

وكان دخول الهوى بينهما ان كثيراً مر بغنم له ترد الماء على نسوة من صخرة بوادى الخبث فارسلن له عزة بدريهمات تشترى بها كبشا لهن منه فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ماأزهل لبه . فرد اليها الدراهم وأعطاها الكبش

وقال . ان رجعت أخذت حقي . فلما عاد سألنه عن ذلك فقال
لا اقتضي الا من عزة . فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا
فابي وأنشد البيتين

نظرت اليها نظرة وهي عاتق
على حين ان شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة مايسرني
بها حمر انعام البلاد وسودها

فجعلن يبرزنها له كارهة . وبعد أيام داخلها من حبه
ماداخله (وقيل) انه خرج ذات يوم لزيارتها ومعه اداوة ماء
جفت من الحر ورفعت له نار فامها . واذا بعجوز فناشدته
من الرجل ! . فقال . صاحب عزة . فقالت له أنت القائل
ذا ماأتينا خلة كي تزيلنا أبين وقلنا الحاجبية أول
سنوليك عرفا ان أردت وصالنا
ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

يارب عارضة علينا وصلها
بالجد تخلطه بقول الهازل

فاجبتها بالقول بعد تامل حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة
فضل لغيرك ماأتتك رسائلي

والله لاسقيتك شيئا فتركها وانصرف

(وقيل) ان عزة دخلت ذات يوم على أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان فقالت لها ياعزة ماالذي مطلته كثيراً اذ قال

قضى كل ذي دين فوفي ديونه
وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت ـ وعدته قبلة ـ فقالت لها أم البنين . نجزيها وعلى اثمها

ولهذا البيت حكاية لطيفة (وهي) ان كثير صاحب عزة كان له غلام يتجر على العرب فاعطى النساء الى أجل ومن ضمنهن (عزة) وهو لايعرفها . فلما انتهى الاجل المضروب اقتضى ماله منهن فماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت في نساء من الحي ـ أما آن ان تفي بما عندك ! ـ فقالت كرامة لم يبق الا الوفاء

فقال ـ صدق والله مولاى حيث قال

قضى كل ذي دين فوفى ديونه

وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أتدرى من غريمتك ! . فأجابهن ـ لا فقلن هى والله عزة . . فقال أشهدكن على انها فى حل مما عندها ومضى فاخبر مولاه بما حصل

فقال له ـ وأنت حر وما عندك فهو لك . وأنشد حين اعتقه

شبيهك في الدنيا شفيق عليكم

اذا غاله من حادث الدهر غائله

يود بأن يمسى سقيما لعلها

اذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويهتز للمعروف فى طلب العلا

لتحمد يوما عند عز شمائله

(ودخلت) عزة ذات يوم على أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان فقال لها ـ أتروين قول كثير

لقد زعمت انى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

تغير جسمى والخليقة كالذى عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت ـ لا أدري هذا يا أمير المؤمنين ولكني أدري قوله

كأني أنادى صخرة حين أعرضت

من الصم لو تمشى بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة   فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فضحك عبد الملك وقال ـ هذا عجيب منك يا عزة

(وقيل) ان كثيراً سافر مع جماعة الى مكة فاتفق ان

خرجت عزة وزوجها في هذه القافلة ـ فلما كان اثناء الطريق

مرت بجمل له فسلمت على الجمل فبلغ كثيراً ذلك فجاء الى

الجمل فحله واطلقه من الحمل وأنشد

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت

فحي ويحك من حياك ياجمل

ليت التحية كانت لى فاردها

مكان ياجمل حييت يارجل

لو كنت حييتها ما كنت ذا مقة

عندي ولا مسك الادلاج والعمل

(واتفق) ان زوجها أمرها ليلة ان تستقضى سمنا

فلقيها كثير فاخبرته بحاجتها . فاخرج أداوة سمن وجعل

يسكب فى اناء عزة وهما يتحدثان لم يشعر حتى غرقت أرجلهما فلما رجعت انكر عليها زوجها السمن وكثرته وأقسم عليها فاخبرته فحلف ليضربنها أو لتخرجن فشتم كثيرا وغضب غضبا شديداً

(وقيل) انه خرج يوما من عند عبد الملك ابن مروان فاعترضته عجوز معها نار فى روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة . فقالت . أنت القائل

وما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها

باطيب من أردان عزة موهنا
اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال — نعم — قالت ويحك اذا أوقد المندل الرطب على هذه الروثه وبخرت به أمك العجوز الشمطاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال أمرء القيس ابن حجر الكندى

خليلى مرابي على أم جندب لنشفى لبنات الفؤاد المعذب

ألم تريانى كلما جئت زائرا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها مطرق خزكان معه وقال استوى على ذلك يا اماه

ومات سنة ١٠٥ هجرية ودفن بمقابر المدينة

(وقيل) ان عزة دفنت قبله

لا لاأبوح بحب عزة انها أخذت على مواثقا وعهودا

ان المحب اذا أحب حبيبه صدق الوفاء وانجز الموعدا

الله يعلم لو أردت زيادة فى حب عزة ما وجدت مزيدا

هند وبشر

فى مدينة طيبه كان يقيم فتى يقال له بشر العابد .وكان بشر هذا كثير التردد الى مسجد النبي ﷺ . واشتهر امره بالصلاح والزهد على نضارة شبابه وحسنه وجماله .. وكانت هند بنت فهد من أجمل نساء العرب تزوجها قيس واشبع وعاش معها عيشة كلها رخاء

وبينما هي جالسة فى نافذة غرفتها تنظر الى الطريق اذ نظرت بشر العابد ماراً من تحت دارها وما كادت تراه حتى شعرت باستلطاف ذاته ومن تلك الساعة صارت تراقبه وهى

تستلطف محاسنه وهامت به هياما شديداً . وكتمت حبه في صدرها وأنشدت

أهواك يابشر دون الناس كلهم
وغيرك يهواني فيمنعه صدي

تمر ببابي لست تعرف ماالذى
اكابد من شوقى اليك ومن بعدي

فياليتنى أرض وأنت امامها
تدوس بنمليك الكرام على خدى

وياليتنى نعلا أقيك من الحفا
وياليتنى ثوبا أقيك من البرد

تبات خلي البال من ألم الجوي
وقلبي كواه الحب من شدة الوجد

وانك ان قصرت عنى ولم تزر
فلا بد بعد الصد ادفن فى لحدى

ولما عيل صبرها استحضرت جاريتها وقالت لها ـ هل تكتمى السر اينتها الجارية .. أجابتها نعم أيامولاتى واقسم لك على أني لاابوح بسرك لاحد

فكتبت فى الحال كتابا رقيق الحاشية وقالت لها أريد منك أن توصلى هذا المكتوب الى بشر العابد وتأتيني منه برد الجواب : فقالت لها الجارية سمعا وطاعة . ثم اخذت الكتاب وسارت به الى بشر . ولما وصلت اليه سلمت عليه فرد عليها السلام وقال لها — لمن تكونين ايتها الجارية ولاى شئ حضرت الى هنا ؟. فقالت الجارية اني جارية السيدة هند وقد ارسلتني اليك بكتاب فأخذه منها وقرأه . وفهم معناه ثم التفت إلى الجارية وقال لها . ياجارية هل سيدتك عذراء أم ذات بعل .. فقالت الجارية انها متزوجة وزوجها حاضر فى المدينة .. فارتبك بشر في أمره وأخذته لرأفة علي هذه السيدة وهو لايجهل أمر الحب وقال — لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم كتب لها هذه الابيات

عليك بتقوى الله لا تقربي الزنا

ولا تطابي الفحشا فذلك مفسدا

واستغفرى مما هممت بفعله نهى الله عنه والنبي محمدا

اما تذكرى يوم الحساب وهوله

وما للفتى مال ولا شئ يفتدى

وان تعالى قربي فبعدي أجود

تخافي عقاب الله والتمسى الهدا

ثم أنه طوى الكتاب وأعطاه للجارية وأخذته وسارت به حتى دخلت على سيدتها فاخذت منها الكتاب ولما قرأته وفهمت أبياته .عز عليها كثيراً . وبكت بكاء مراً . ثم كتبت اليه هذه الابيات

أما تخش يابشر الاله فانني لفي حسرة من لوعتي وتسهدي

فان زرتني يابشر احييت مهجتي

وربي غفور بالعطا باسط اليد

وطوت هذه الرقعة واعطتها الجارية فأخذتها وسارت الى بشر فلما قرأها . استعظم أمر هذه الصبية . وصعب عليه ماهي فيه . وكتب لها هذه الابيات

أياهند هذا لايليق بمسلم

ومسلمة فى عصمة الزوج فابعدي

أما تعلمى أن السفاح محرم

تخولى عن الفحشاء والعيب وارتدى

بهذا نهى دين النبي محمداً

فتوبي إلى مولاك ياهند ترشدى

ثم طوى الرسالة واعطتها للجارية فاخذتها منه وسارت الى سيدتها فلما قرأتها بكت بكاء شديداً ثم كتبت اليه رسالة طويلة تشكوا فيها غرامها وهيامها فلما وصلته كتبت اليها هذه الابيات

ان الذي منع الزيارة فاعلمى

خوف الفساد عليك أن لاتعتدى

وأخاف ان يهواك قلبي في الهوى

فأكون قد خالفت دين محمد

فالصبر خير وسيلة فتشفعى والى الاله فسارعى وتعبدى

ولما وصلها هذا الكتاب انكمدت نفسها ومرضت وصارت في حالة يرثى لها وصارت تعالل نفسها يوما بعد يوم إلى ان كان في يوم من الايام كتبت اليه تقول

أيابشر ماأقسى فؤادك في الهوي

ماهكذا في مذهب الاسلام

اني بايت وقد تجافاني الصفا فارحم خضوعي ثم زر بسلام

ضاقت قراطيس التراسل بيننا
جف المداد وحفيت الاقلام

فلما وقف بشر على هذه الرسالة كتب تحتها يقول

لا والذي رفع السماء بأمره
ودجى بساط الارض باستحكام

وهو الذى بعث النبي محمداً بشريعة الايمان و الاسلام
لم أعص ربي في هواك وانني لمطهر من سائر الآثام

ثم أعطاه للجارية فاخذته وسارت فناولته الى هند فلما قرأته وفهمت مافيه خرت مغشيا عليها . فلما افاقت كتبت هذه الابيات تقول

أدعوك رب كما صبرتني شجنا ان يبتليك بهول من لا يوافيك
وتشتكي محنة في الحب نازلة وتطلب الماء ممن ليس يسقيك
بلاك ربي بامراض مسلسلة وبامتناع طبيب لا يداويك
ولا سروراً ولا يوما ترى فرحا وكل ضر من الرحمن يبليك

ثم طوت الكتاب . ودمعها في انسكاب . وأعطته لها وقالت . اذهبي اليه وأتيني برد الجواب . فسارت اليه وناولته الكتاب فلما قرأه اغتاظ غيظا شديدا ثم كتب لها يقول

ياخالق الخلق اني لست أعصيك
أبات أرعى نجوم الليل أدعوك
فارحم خضوع ذليل بات مبتهلا
ولا تخيب رجا من بات يدعوك
ونجني من هوى هند وما صنعت
يامن لكشف كروب الناس يدعوك

ثم طوي الكتاب وأعطاه للجارية وقال . ان عدت برسالة غير هذه لاضربنك ولاعلمن سيدك . ثم نهر الجارية وطردها . فسارت الى سيدتها واعطتها الكتاب فقرأته . وأخبرتها بما قال بشر من أول الكلام ثم انها بكت بكاء شديدا ماعليه من مزيد . وزاد بها الهيام . واشتدت بها الاسقام . وامتنعت من الطعام والشراب

وخاف بشر على نفسه من الفضيحة فارتحل الى بطاح مكة ليلا ولم يخبر أحدا برحيله . وذهبت اليه الجارية برسالة من سيدتها فلم تجد له أثراً . ولا وقفت له على خبر . فعادت الى سيدتها واخبرتها برحيل بشر فحزنت عليه حزنا شديدا وتوعكت اياما حتى صارت في أسوأ حال . فكانت لا ترى

الا باكية العين حزينة النفس واعتراها مرض شديد ...
وعاد زوجها من سفر كان فيه فلما رآها على هذه الحالة أخذته
عليها الرأفة وقال لها . أهل آتيك بطبيب ياهند؟

فقالت لا حاجة لي بالطبيب . وانما أرجوك ان ترحل
بي من هذا المكان فنذهب الى بطاح مكة فنعيش هنالك .
حيث الهواء النقي . والفضاء الفسيح ... وكان من القضاء
المقدر . والقدر المقدور ان الدار التي أخذها زوج هند واقامت
بها هند كانت قريبة من دار بشر فكانت تراه كلما مر ببابها
وزادها ذلك عشقا وكلفا . وبينا هي تعاني من سوء حالها
ما تعاني دخلت عليها عجوز يقال لها جنوب . فلما رأتها علي
تلك الحالة سألتها عن علتها فاخبرتها بقصتها من مبتداها الى
منتهاها . فقالت لها العجوز . طيبي نفسا وقري عينا فلسوف
اجمعك به . فشكرتها هند . وقامت لها بواجب الاكرام
ولما همت جنوب بالانصراف قالت لها هند

ساعديني واكشفي عني الكروب
ثم نوحي عند نوحي ياجنوب
واندبي حظي ونوحي علنا
ان حالي بعده شيء غريب

ما رأت مثلي زليخا يوسف

لا ولا يعقوب بالحزن العجيب

وخرجت العجوز من بيت هند فجلست على قارعة الطريق تنتظر عودة بشر . فلما مر عليها قالت له . ياولدى اني أرى على وجهك سحر . وما ظنى بك الا مسحور . فذعر بشر واقترب من العجوز وقال لها . لاعلم لى يااماه وانما كانت بالمدينة امرأة يقال لها هند ما نظرت اليها قط كانت تراسلنى بالاشعار فهربت منها وجئت الى بطاح مكة وها أنا كما ترى

فقالت . اعلم يابنى انها هى التى سحرتك . وانى أرجوك ان تمر علي في غد وأنا آخذك الى دارى واعمل لك تحويطة تمنع عنك السحر . فقال لها بشر جزاك الله خيراً ياأماه . ثم انصرف الى حاله . اما العجوز فانها سارت من ساعتها الى هند وقالت لها . ابشري ياهند ففى صباح غد يكون بشر هنا عندك فى بيتك . فقالت لها هند وقد تهلل وجهها بشرا هل حقيقة ذلك ياأماه ؟ .. فقالت العجوز . نعم ورب الكعبة فقالت هند . واني أحمد الله كثيراً الان زوجى قد سافر ببضاعة الى الشام منذ أيام ولا يعود الا بعد مدة طويلة . ثم انصرفت

من عندها . وفى الصباح سارت العجوز الى بشر وقالت له.
قم ياولدي فقد صنعت لك التحويطة وهيا لابخرك . فقام معها
بشر وهو لايعلم بما صنعته العجوز من المكيدة . ومازالت
سائرة وبشر خلفها الى ان وصلت الى دار هند . وكانت هند
تنظر من نافذة بيتها المطلة على الطريق فلما رأت بشر مقبلا
نزلت مهرولة ففتحت الباب ودخلت العجوز وبشر خلفها
وهو يعتقد انه منزل العجوز . ومايشعر الا والباب قد أقفل
ووقفت أمامه فتاة حسناء كأنها البدر اذا بدر . وقد ارتمت
عليه وأخذته الى صدرها وهى تقول

يابشر واصلنى وكن بي لطيفا
اني رأيتك بالكمال ظريفا
وانظر الى جسمى وما قد حل بي
فتراه صار من الغرام نحيفا

فلما رآها بشر راعه جمالها . وعلم ببداهته انها هى هند
التى هجر مقره من اجلها وان هذه الدار دارها وان في الامر
مكيدة دبروها له فتباعد عنها متعطفا وانشد متلطفا

ليس المليح بكامل فى حسنه حتى يكون عن الحرام عفيفا

فاذا تجنب عن معاصي ربه　　فهنالك يدعى عاشقا وظريفا

وما كادت العجوز تجمع هندا ببشر حتى غادرت الدار ولازت بالفرار ـ وما كادت تتخطى عتبة الدار حتى كان (زوج هند) قد دخل منه وكان قد نسي حاجة فجاء ليأخذها وما كادت تراه الجارية حتى وقفت واجمة لا تبدى ولا تعيد . فصعد السلم حتى دخل غرفة رقاده فابصر هندا زوجته مع بشر على فراشه يتعاتبان . فصعد الدم الى أم رأسه وما كان منه إلا أن قبض عليهما وجاء بهما الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي فى تلك الساعة جالساً بين الصحابة فدخل عليه الرجل قابضا على زوجته وعلى بشر العابد ولما وقفوا بحضرته قال الرجل يارسول الله اني وجدت هذا القرشي على فراشي مع زوجتي فالتفت النبي ﷺ الى بشر وقال له ـ يابشر نحن نعتقد انك من أهل الزهد والورع فما هذا الذى حصل منك

فاطرق بشر برأسه الى الارض حياء من النبي صلى الله عليه وسلم . وسكت ولم يتكلم

فعند ذلك هبط جبريل عليه السلام وقال يامحمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام . ويقول لك ان

بشر برىء مما يقولون . وان هند هى التى راودته عن نفسها ولم يطعها . فقال النبى ﷺ الحمد لله الذى جعل فى أمتى نظيراً ليوسف الصديق . ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبشر لاتخف فقد اخبرني ببراءتك جبريل عليه السلام فعند ذلك اطمأن بال بشر وانشرح صدره بهذا الخبر . وقص على النبى صلى الله عليه وسلم ماقد حصل من أول المراسلات الى حضوره بين يديه . وكانت هند وزوجها يسمعان الكلام أيضا . ففى الحال طلق الرجل هندا وهما بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى حال سبيله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لهند توجهى ياهند الى بيتك فالذنب على العجوز فعادت وهى فى أشد حالات الخجل والاعياء .

اما بشر فما كاد يصل الى منزله حتى تمثل امام عينيه جمال هند . فشعر بميل شديد اليها وانشغل قلبه بهواها . فعلل نفسه بالصبر حتى انقضت عدتها فارسل اليها ليتزوج بها فأبت وقالت . لااريده فعادت المرأة التى أرسلها اليها وبلغته بماقالت فبكى بكاء شديدا وكتب لها يقول

أرى القلب بعد الصبر أضحى مضيعا

وابقيت مالى فى هـواك مضيعا

فلا تبخلى ياهـند بالوصل وارحمى

أسـير هوى بالحب صار مضيعا

قلما وصلتها هذه الابيات كتبت تحتها تقول

أتطلب ياغـدار وصلى بعـد ما

أسأت ووصلى منك اضحى مضيعا

ولما رجوت الوصل منك قطعته

واسقيتنى كأسا من الحزن مترعا

واخجلتنى عنـد النبى محمـداً

فـكادت عيوني ان تسيل وتطلعا

فلما وصلته هذه الابيات حزن حزنا شديدا واشتدت اللوعات فـكتـب لها هذه الابيات

سـلام الله من بعد البعاد	على الشمس المنيرة في البلاد
سـلام الله ياهند عليـك	ورحمته الى يوم التنادى
وحق الله لاينسـاك قلبى	الى يوم القيامه يامرادى
فرق وارحمى مضنى كئيباً	فبشر صار ملقى فى الوساد

فداوى سقمه بالقرب يوما   فقلبى ذاب من ألم البعاد
وصلى الله ربي كل يوم   على من جاءنا بالخير هادى
محمد المشفع فى البرايا   فلولا حبه ما سار حادى

ثم طوى هذه الرسالة واعطاها الى المرأة التى عهد
اليها باستعطافها فلما قرأتها كتبت تقول

سلام الله من شمس البلاد   علي الصب الموسد فى المهاد
فان ترج الوصال وتشتهيه   فانت من الوصال على بعاد
فلست بنائل منى وصالا
ولا يدنو بياضك من سوادى
ولا تبلغ مرادك من وصالى   الى يوم القيامة والتنادى

ثم أرسلت الكتاب فلما قراه غشى عليه فلما أفاق كتب
هاهذه الابيات

كتبت اليك لما ضاق صدري
واسكتني التجلد والعياء
كتاب من فتى دنف عليل   سقيم الجسم ليس له شفاء
فرقى يامليحة وارحمينى   فقد كثر التندم والبكاء
وعذالى بحبك عنفوني   وربي فيك يفعل مايشاء

وصلى الله ربي كل وقت علي طه ختام الانبياء

ثم طوي الـكتاب وأرسله الى هند فلما فهمته كتبت تحته تقول

كتبت الى تشكو ما تلاقى من الاسقام اذ نزل القضاء
فانك لم تزل أبداً سقيما ووجدك لا يكون له انقضاء
فمن هند الصدود مع التجافي ومن بشر التضرع والبكاء
فعش صبا ومت كمدا حزينا فواحدة بواحدة جزاء

فلما وصل هذا المكتوب الى بشر امتنع عن الطعام والشراب ولزم الوساد . واشتدت به العلة ـ وكانت له أخت تواسيه فقالت له ـ هل آتيك بطبيب

فقال لها ـ وما يصنع الطبيب . ومرضي من الحبيب فلو ان هندا واقفة من الباب لردت الى الحياة . فلما سمعت اخته هذه الكلمات سارت الى هند واستعطفتها واعلمتها ان بشر على آخر رمق من الحياة من شدة شوقه اليها . فشعرت هند وقتئذ بدافع شديد يدفعها الى لقائه فسارت معها ـ ولما دخلت عليه وجدت نفسه يتصعد فوقفت عند رأسه فلما

رآها ابتسم لها ابتساما فيه ما فيه من غضاضة الموت . وسلم عليها وأنشد

أتت وحياض الموت بيني وبينها
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل
ولما رأتني في المنايا تعطفت
علي وعندي من تعطفها شغل

فلما سمعت هند كلامه تحركت في قلبها عواطف الوجد الكامنة فبكت وأنشدت

أيا بشر حالك قد فنى جسدى
والهب النار فى جسمي وفي كبدى
وفاض دمعى على الخدين منسكبا
وخانني الدهر فيكم وانقضى رشدى
ما كان قصدى بهذا الحال انظركم
لا والذى خلق الانسان من كمد

فلما سمع بشر كلامها أومأ اليها وأنشد

أيا هند ان مرت عليك جنازتي
فنوحي بحزن ثم فى النوح رنمى
وقولى اذا مرت عليك جنازتي
وشيرى بعينيك على وسلمى

وقولى رعاك الله يا ميت الهوى

واسكنك الفردوس إن كنت مسلم

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا . فلما رأته هند ارتمت عليه وهى تبكى وتنتحب . وأنشدت تقول

أيا عين نوحى على بشر بتغرير

الا وترويه من دمعى بتقدير

ياعين ابكى من بعد الدموع دما

لانه كان فى الطاعات مجبور

لفقد بشر بكيت اليوم من كمد

لاخير في عيشة تأتي بتكدير

القاك ربك فى الجنات فى غرف

تاتى النعيم بها بالخير موفور

ثم ألقت بنفسها عليه وحركوها فاذا هى ميتةفغسلوهما ودفنوهما فى قبر واحد ـ وبعد أيام طلعت على قبرهماشجرة باسقةسموهاشجرة العاشق والمعشوق وأنشد الشاعرالعربي عند ذلك حينما وقف على أمرهما

خليلين محبوبين خانهما الدهر   فما اجتمعا الا وقد نفذ العمر
مساكين أهل العشق ما نال بعضهم
وصال ولكن بعدما انكشف الستر

قيس بن زريح وصاحبته لبنى

وهو قيس ابن زريح بن علي بن سنة بن الحباب يتصل نسبة ببكر بن عبد مناة . عذرى من خزاعة . وهو رضيع الحسين بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه - وكان ينزل بظاهر المدينة (وصاحبته) هى لبنى بنت الحباب الكعبية . وسبب علاقته بها انه ذهب يوماً لقضاء بعض حاجاته فمر بحى بنى كعب وقد احتدم الحريم فاستقى الماء من خيمة منهم فبرزت اليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته اداوة ماء فلما صدر قالت له الا تبرد عندنا وشعر انها قد تمكنت من فؤاده فقال . نعم فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج اليه . وان أباها قد جاء فلما وجده رحب به ونحر له جذوراً واقام عندهم بياض يومه . ثم انصرف وهو اشغف الناس بها . فجعل يكتم ذلك الى ان

غلب عليه الحب فنطق فيها بالاشعار . وشاع ذلك عنه . وانه مر بها ثانية فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها . فوجد عندها اضعاف ذلك فانصرف وقد علم كل واحد ماعند الآخر ـ فمضى الى أبيه فشكى اليه ذلك فقال له دع عنك هذه وتزوج باحدي بنات عمك ففهم منه وجاء الى أمه فكان منها ما كان من أبيه فتركهما . وجاء الى الحسين ابن على رضى الله عنهما واخبره بالقصة فرثي له والتزم ان يكفيه هذا الشأن . فمضى معه الى أبي لبنى فسأله فى ذلك فأجابه بالطاعة وقال يا ابن رسول الله لو ارسلت لكفيت بيد ان هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب فشكره ومضى الى أبي قيس حافيا على حر الرمل ـ فقام أبو قيس حينما رآه وقبل يديه ومرغ وجهه على أقدامه ومضى مع الحسين رضى الله عنه الى والد لبنى . ولم يفارقه حتى زوج قيس للبنى وأدى الحسين رضى الله عنه المهر من عنده

ولما تزوجها اقاما مدة وهما على ارفع ما يكون من أحسن الاحوال . ومراتب الاقبال . وفنون المحبة والدلال ـ وكان قيس على ابلغ ما يكون من أنواع البر بامه فشغله

الانهماك مع لبنى عن بعض ذلك . فحسنت لابيه التفريق بينهما . فقالت له يوماً لو زوجته بمن تحمل لتجيء بولد كان أبقى لنسبك وأحفظ لبيتك ومالك . . . وعرضا على قيس ذلك فامتنع امتناعاً يؤذن باستحالة ذلك وقال ـ لا اتركها قط ـ واقام يدافعهما عشر سنين الى ان أقسم أبوه لايكنه سقف أو يطلق قيس لبنى ـ فكان اذا اشتد الهجير يجيئه فيظله بردائه ويصطلى هو حتى يجيء الفيء فيدخل الى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهى تقول له ـ لاتفعل فتهلك الى ان قدر ان طلقها ـ فلما ازمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض فسطاطها فسأل الجارية عن أمرهم فقالت سل لبنى . فأتي اليها فمنعه أهلها واخبروه انها غداة غد ترحل الى قومها فسقط مغشيا عليه . فلما أفاق أنشد

وانى لمفن دمع عينى بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى
بكفيك إلا أن ماحان حائن

وقال ايضاً

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها   بخير فلا تندم عليها وطلق

فطاوعت اعدائي وعاصيت ناصحي

وأقررت عين الشامت المتملق

وددت وبيت الله اني عصيتهم

وحملت في رضوانها كل موثق

وكلفت خوض البحر والبحر زاخر

أبيت على اثبات موج مغرق

كأني أرى الناس المحبين بعدها

عصارة ماء الحنظل المتفلق

فتنكر عيني بعدها كل منظر

ويكره سمعي بعدها كل منطق

فسقط غراب بحيث ينظره ونعق حين رحيلها فأنشد

لقد نادى الغراب ببين لبنى   فطار القلب من حذر الغراب

وقال غداً تباعد دار لبنى   وتنأي بعد ود واقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب   وكان الدهر سعيك في تباب

وتبعها بنظرة حين ارتحلت. ولما غابت رجع فجعل يقبل اثر بعيرها فلاموه على ذلك فانشد

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل اثر من وطئ الترابا

لقد لاقيت من كلفي بلبنى بلاء ما أسيغ له الشرابا

اذا نادى المنادي باسم لبنى عييت فلا أطيق له جوابا

ولما أجنه الليل آوى الى مضجعه فلم يطق قراراً فجعل

يتململ ويتمرغ في موضعه ويقول

بت والهم يالبينى ضجيعي

وجرت مذ نأيت عني دموعي

وتنفست اذ ذكرتك حتى

زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي

يالبينى فدتك نفسي واهلي هل لدهر مضى لنا من رجوع

وقال أيضا

قد قلت للقلب لالبناك فاعترف

قضت لبانة ماقضيت فانصرف

قد كنت احلف جهدي لاأفارقها

أف لكثرة أهل القيل والحلف

حتى تكنفني الواشون فافتلتت

لاتأمنن أبداً من غش مكتنف

هيهات هيهات قد أمست مجاورة

أهل العقيق وأمسينا على سرف

حي يمانون والبطحاء منزلها

هذا لعمرك شكل غير مؤتلف

(وقيل) ان أمه ارسلت له يوما بنات يعبن لبنى عنده ويلهينه بالتعرض لوصلهن فانشد

يقر لعيني قربها ويزيدني بها عجبا من كان عندي يعيبها

وكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمري توبة لا اتوبها

فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي باول نفس بان عنها حبيبها

ولما اشتد شوقه . وزاد غرامه . افضى به الحال الى مرض عضال الزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال . . فلام الناس اباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به فارسل له طبيبا وفتيان يسألونه عن حاله ويلهونه فلما أطالوا عليه أنشد.

عند قيس من حب لبنى ولبنى

داء قيس والحب صعب شديد

فاذا عادني العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أقضى انها لاتعود فيمن يعود

ويح قيس لقد تضمن منها داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب . منذ كم هذه العلة بك ومنذكم وجدت بهذه المرأة ماوجدت فانشد

تعلق روحى روحها قبل خلقنا

ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد

فزاد كما زدنا واصبح ناميا وليس اذا متنا بنفصم العقد

ولكنه باق على كل حادث

وزائري في ظلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب انما يسليك عنها مافيها من المساوي والمعائب وما تعافه النفس فقال

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا

وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى علي الناس مثل ما

على الف شهر فضلت ليلة القدر

اذا مامشت شبراً على الارض رجفت

من البهر حتى ماتزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت
ومتن كغصن البان منضمر الخصر

(ودخل) أبوه وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه . فلما لم يفد ذلك عرض عليه التزويج فانشد

لقد خفت ان لاتقنع النفس بعدها
بشيء من الدنيا وان كان مقنعا
وأزجر عنها النفس ان حيل دونها
وتأبى اليها النفس الا تطلعا

* * *

ولما آيس والده منه استشار قومه في دائه فاتفقت آراؤهم على ان يأمروه بتصفح احياء العرب فلعل ان تقع عينه على امرأة تستميل عقله فاقسموا عليه ان يفعل ففعل وانه اتفق ان نزل بحي من فزارة فرأي جارية قد حسرت عن وجهها برقع وهى كالبدر حسنا وبهجة . فسأل عن اسمها فقالت (لبنى) فسقط مغشيا عليه فارتاعت المرأة وأخذت تنضح على وجهه الماء . وقالت . ان لم تكن قيسا فمجنون . فلما استفاق استنسبته فاذا هو قيس . فاقسمت عليه ان ينال

من طعامها . فتناول قليلا وركب فجاء أخوها على أثره فاعلمته القصة فركب حتى استرده وأقسم عليه ان يقيم عنده شهراً فأجاب . وكان الفزاري يعجب به . ويعرض عليه الصهارة حتى لامته العرب وقالوا نخشى ان يصير فملك سنة . فكان يقول لهم دعوني من قولكم ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام . وقيس يقول له . ان فيكم الكفاية ولكني في شغل لا ينتفع بي معه . فألح عليه حتى عقد له على اخته ودخل بها فأقام معها اياما لا تهش نفسه اليها ولا يكلمها . ثم استأذن في الخروج الى أهله فاذنوا له فخرج الى المدينة وكان له بها صديق فاعلمه ان لبنى قد بلغها تزوجه فغمت لذلك وقالت انه لغدار واني طالما قد خطبت فأبيت والآن اجيب فزاد غرامه واشتد وجده وتغزل فيها بالاشعار وعلم ابو لبنى بذلك فاشتكاه الى معاوية فكتب الى مروان يهدر دمه وأمر ان يزوجها لخالد بن خلدة الغطفاني وهو كندي حليف قريش فزوجها به وبلغ قيس ذلك فغم غما شديدا واشتد به الغرام فركب حتى أتى الى محلة قومها فقالت له النساء ما تصنع هنا وقد رحلت لبنى مع زوجها فلم يلتفت اليهن حتى اتى موضع

خباءها فتمرغ فيه وأنشد

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا
الى الله بعد الوالدين يتيم

يتيم جفاه الاقربون فجسمه
نحيل وعهد الوالدين قديم

وأنشد حين بلغه هدر دمه

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها
مقالة واش أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
ولم يذهبوا ما قد أجن ضميري

وقال أيضاً

وان تك لبنى قد اتى دون وصلها
حجاب منيع ما اليه سبيل

فان نسيم الجو يجمع بيننا
ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل في الحين تلتقي
ونعلم انا بالنهار نقيل

وتجمعنا الارض القرار وفوقنا

سماء نري فيها النجوم تجول

الى ان يعود الدهر سلما وتنقضى

ترات يراها عندنا وذحول

* * *

وحجت لبنى فى تلك السنة فاتفق خروجه أيضا فتلاقيا فتأهبت وأرسلت اليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه فأعاد السلام والسؤال أنشد

اذا طلعت شمس النهار فسلمى

فانى بسليبنى عليك طلوعها

بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت

وعشر اذا اصفرت وحان رجوعها

وحين انقضى الحج مرض مرضا شديدا انهك قواه فأكثر الناس من عيادته فجعل يتفكر لبنى وعدم رؤيته لها فأنشد

البنى لقد جلت عليك مصيبتى

غداة غد اذ حل ما أتوقع

تمنيتنى نيلا وتلويننى به   فنفسى شوقا كل يوم تقطع
ألومك فى شأنى وأنت مليمة   لعمرى وأجفى للمحب وأقطع
واخبرت انى فيك مت بحسرة
فما فاض من عينيك للوجد مدمع
اذا أنت لم تبكى على جنازة
لديك فلا تبكى غدا حين ازمع

فلما بلغها هذه الابيات جزعت عليه جزعا شديداً وخرجت اليه خيفة على ميعادفاعتذرت عن الانقطاع وأعلمته انها دائما تترك زيارته خوفا عليه أن يهلك وان عندها من الحب له أضعاف ماعنده ولكنها تتجلد وتتصبر (وروي) أن قيسا انتقي ناقة من ابله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه ثم قال له ائتنى غداً فى دار كثيرين الصلت أقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فادخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته ــ فقالت المرأة لخادمتها سليه مابال وجهه متغيراً شاحبا . فلما سألته تنفس الصعداء ثم قال ــ هكذا حال من فارق الاحبة . فقالت ــ استخبرته فشرع يحكى أمره ــ فرفعت المرأة الحجاب وقالت ــ حسبك قد

عرفنا حالك ـ فتأملها فاذا هى لبنى فبهت لا ينطق ساعة ثم خرج هائما على وجهه فاعترضه الرجل وقال مابالك ـ عد انقبض الثمن ـ فقال له ـ لا تركب لى مطيتين ـ فقال له ـ هل أنت قيس قال ـ نعم ـ قال أرجع لتخيرها فان اختارتك طلقتها . . وظن الرجل ان لبنى تبغض قيسا فتخيرها فاختارت قيسا فطلقها لوقته

ولكنها لسوء حظه مرضت لبنى مرضا أدى الى موتها ولم تتم العدة فحين بلغ قيس خبر نعيها خرج حزينا كئيبا ودموعه تسيل على خديه . حتى وقف على قبرها وأنشد

ماتت لبينى فموتها موتى هل ينفعن حسرة على الفوت
اني سأبكى بكاء مكتئب قضى حياته وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمى عليه فحمل الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام ودفن الى جانبها ـ ومن محاسن شعره فيها

وفى عروة العذري ان مت اسوة
وعمر بن عجلان الذي قتلت هند
وبي مثل ماقد نابه غير انني
الى أجل لم يأتني وقته بعد

وفيضن دموع العين بالليل كلما
بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال أيضا

لقد عنيتني ياحب ليني فقع أما بموت أو حياة
فان الموت أيسر من حياة منغصة لها طعم الممات
وقال الآمرون تعز عنها فقلت ولا اذا حانت وفاتي

وله أيضا

فما وجدت وجدي بها أم واحد
ولا وجد النهدي وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة في الهوى
كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

عبدالله ابن عجلان وصاحبته هند

هو عبدالله بن عجلان بن عبد الاحب بن عامر بن نهد ابن كعب ـ وهو نخذمن بنى الحريش ويكنى أبا عمرة . وهو شاعر مفلق . وناطق مزلق . حسن القوام. مليح الهندام (قيل) انه عاش مكابد المحبة . وغصة العشق ثلاثين عاماً . وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة

(وصاحبته) هي هند بنت كعب بن عروة بن ليث النهدى يتصل مع عبدالله في النسب (وسبب علاقته بها) انه خرج يوماً الى شعب من نجد ينشد ضالة له فشارف ماء يقال له نهر غسان ـ وكانت بنات العرب تقصده فيخلعن ثيابهن ويغتسلن فيه ـ فلما علا ربوة تشرف على هذا النهر. رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر اليهن مستكفيا فاغتسلن وخرجن وبقيت هند (وكانت طويلة القامة غزيرة الشعر . فأخذت تمشطه. وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد شعرها . ونهض ليركب راحلته فعجز واقعد ساعة ـ وكان يقال عنه قبل ذلك ان العرب

كانت تصف له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة ـ وعند ذلك داخله من الحب ما اعتره وعطل حركته فانشد فورا

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة

اذا شئت لمسا للثريا لمستها

أتتنا سهام من لحاظ فارشقت

بقلبي ولو اني استطعت رددتها

ثم قال ـ هذه والله الضالة المنشودة التى لاترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فاخبر صديقا له بذلك فقال له ـ اكتم مابك واخطبها الى أبيها فانه يزوجك بها . وان لشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها ـ واقاما على أحسن حال . وانعم بال . وهو لايزداد فيها الا غراماً فمضى عليهما ثمان سنين . وانها اقامت على ذلك لم تحمل — وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره فاقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال فعرض عليها ذلك فابت أن تكون مع أخرى فعاود أباه فامره بطلاقها فابي ولح عليه وهو لم يجب الى أن بلغه

يوما ان عبد الله قد تمكن منه السكر فعدها فرصة وأرسل
اليه يدعوه وقد جلس مع اكابر الحي فمنعته هند وقالت . .
والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد
أن يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لمت واظن انك فاعل
(وكان قبل هذا اليوم دخلت عجوز كاهنة تضرب الحصا)
على هند وأخبرتها أنها ستطلق ... فابي عبد الله الا الخروج
فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران فأثرت في ثوبه . فلما جلس مع
أبيه وقد عرف أكابر الحي حاله فاقبلوا يعنفونه ويتناوشونه
من كل مكان حتى استحى فطلقها . فلما سمعت بذلك احتجبت
عنه فوجد وجداً شديداً كاد أن يقضي معه فانشد

طلقت هنداً طائعا فندمت بعد فراقها
فالعين تزرف دمعها كالدر من آماقها
متحلبا فوق الردا فتجول في رقراقها
خود رداح طفلة ما الفحش من اخلاقها
ولقد الذ حديثها واسر عند عناقها
ان كنت ساقية ببذ ل الادم أو بحقاقها
فاسقي بني نهد اذا شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف الـ ... حقها غداة لحاقها

بأسنة زرق منعد ... ن القوم حد رقاقها

حتى ترى قصد القنا ... والبيض فى أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو . . ووجده يتزايد . وهو يكابد لوعة غرامه . ويشكو مرارة حبه . وبينما هو في حاله . علم أن هندا تزوجت فى نمير [1] فاشتد به الكاف حتى اشرف على التلف . وحينما اشتدت بهلواعج وجده وغرامه قصد الذهاب اليها فحذره ابوه من ذلك ومناه الاجتماع بها بعكاظ فى الاشهر الحرم . حيث تكف الجاهلية عن الحرب فأبى وخرج حتى اتاها فرآها جالسة على حوض ماء وزوجها يسقي ابلاله فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنامنها ودنت منه حتى اعتنقا عناقا شديدا ثم سقطا على الارض فجاء زوجها يحركها فاذا هما ميتين وله فيها أشعار كثيرة منها

قد طال شوقي وعاد لي طربي ... من ذكر خود كريمة الحسب

غراء مثل الهلال صورتها ... أو مثل تمثال صورة الذهب

---

(١) نمير . قبيلة من عامر وكان بين هذه القبيلة وبين بنى نهد ثارات كثيرة ودماء وحروب ووقائع

ذى الرمة وصاحبته مى

هو ابو الحرث غيلان بن معدى بن عمر بن عقبة بن يهوس بن ربيعة يتصل من عبد مناف بالياس ابن مضر وهو أديب وشاعر رقيق النظام جزل الكلام وافر الحظ من الفصاحة والشعر ورقة المزاج خبير باحوال العشق والرمة بالضم وتكسر حبل يحمل فى عنق البعير وسبب ذلك ان طريف ابن غطفان وهب بعيراً لشخص بالحبل الذى فى عنقه فقيل اعطاه له برمته فصار مثلا لمن يعطي الشيء جميعه

وكان ذو الرمة لطيف المنظر خفيف الروح حسن الهيئة طويلا الى رقة وبياض واسع الصدر عجل المشية (وصاحبته) هى مي بنت طلابة ابن قيس ابن عاصم الغساني أحد ملوك العرب وكان نظير المنذر ابن ماء السماء وكان ذا حظ في الملك تميل اليه العرب ويعطي القياد حتى ضربت به الامثال (وكانت مي) فتاة حسناء لاهى طويلة ولا قصيرة . ولاهى سمراء ولا بيضاء تكاد ان تكون ملفوفة القد فلا هي سمينة ولا هي هزيلة في الفاظها رقة وفى كلامها عذوبة

وفي ظرفها يتنزل المشاق (وسبب علاقته بها) انه مر يوما بالحي وقد أدركه الاوام فنظر الى بيت قد شرع رواقه وارتفعت اطباقه وعلا عموده واطنابه ومدت اوتاده واسبابه فقصده حتى وقف باذائه واذا هو بامرأة تتمشط حاسرة الرأس قد أسبلت شعرها كأنه عثاكيل النخل ووجهها يشف من خلاله فناداها هل من اداوة ماء اطفي بزلالها أوام عطشي فأبرزت اليه ماء قد شيب بلبن فشرب ثم ناشدته الراحة فنزل وقدمت اليه طعاما فأكل ولم تزل تنادمه وهو يعجب بها حتى حلت في سويداء قلبه وانصرف بعد بياض النهار وقد اشتعل بقلبه لاعج من حبها عجز عن اطفائه. وغرام كل عن اخفائه. فجعل يعاودها الزيارة فقيل له في تقليل ذلك وان بلادها بعيدة عن بلاده . وان ذلك يوجب له نصباً ومشقة فأنشد

وكنت اذا ما جئت ميا أزورها
أرى الارض لي تطوى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليها
اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

(وقيل) ان جماعة جلسوا يتحادثون وفيهم عقبة بن

مالك الفزاري ـ وقد بلغ من العمر مائة سنة فافضى بهم الحديث الى ذكر ذى الرمة ـ فقال عقبة للحاضرين . خذوا مني خبره . فاني بأمره خبير ـ أتاني يوماً فقال ـ ان حي مية خلوف . فهل تسعدني في الزيارة . فركبنا حتى أتيناها فلما نظر النساء الى ذى الرمة عرفنه فجئن حتى جلسن عنده . وتفاوضوا فى الحديث فقالت ظريفة من النساء ـ اسمعنا ياذى الرمة . ماقلت فى مية . . فالتفت الى ذى الرمة فانشدت قوله

وقفت على ربع لمية ناقتى فمازلت أبكي عنده وأخاطبه

فلما انتهيت الى قوله

نظرت الى اظعان مى كأنها ذر للنخل أواثل تميل ذوائبه

فأسبلت العينان والقلب كاتم بغمرورق نمت عليه سوا كبه

بكى وامق حال الفراق ولم تخل حوائلها اسراره ومعاتبه

وقد حلفت بالله ميه ماالذي احدثها الا الذى انا كاذبه

إذا فرماني الله من حيث لاأرى

ولا زال في أرضى عدو احاربه

قالت مى ـ ويحك ياذا الرمة خف عواقب الله عز وجل

ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا سرحت من حب مي سوارح

على القلب امته جميعا غواربه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مية ـ ما أصحه وهنيئاً له .. قال فتنفس ذي الرمة تنفسة كاد حرها يذهب بلحيته ـ ثم مضيت حتى انتهيت الى قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا

لك الوجه منها أو نضى الدرع سالبه

فيالك من خد اسيل ومنطق رخيم ومرحوق تعلل شاربه

فقالت الظريفة . هذا القول قد تنوزع والوجه بدا فمن لنا بان ينضى الدرع سالبه . فقالت مي . ماذا تروين وتضاحك فقالت الظريفة ان لهذين لشأنا فقم بنا . فمضيت وجلست بحيث أراهما ـ فتعاتبا طويلا ولم يبرح من مكانه ولم أسمع منها غير ان قالت كذبت والله ولم أعلم علام كذبته ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد اتحفته بها فقال لى شأنك وهي ثم قال وهذه قلائد قد اعطتنيها فوالله لاقلدتها بعيرا وفقدها في سيفه وانصرفنا فلما ظعن الحي جاءني فقال ـ امضى بنا نودع الآثار

فجئنا حتى وقفنا على اطلال مية فأنشد

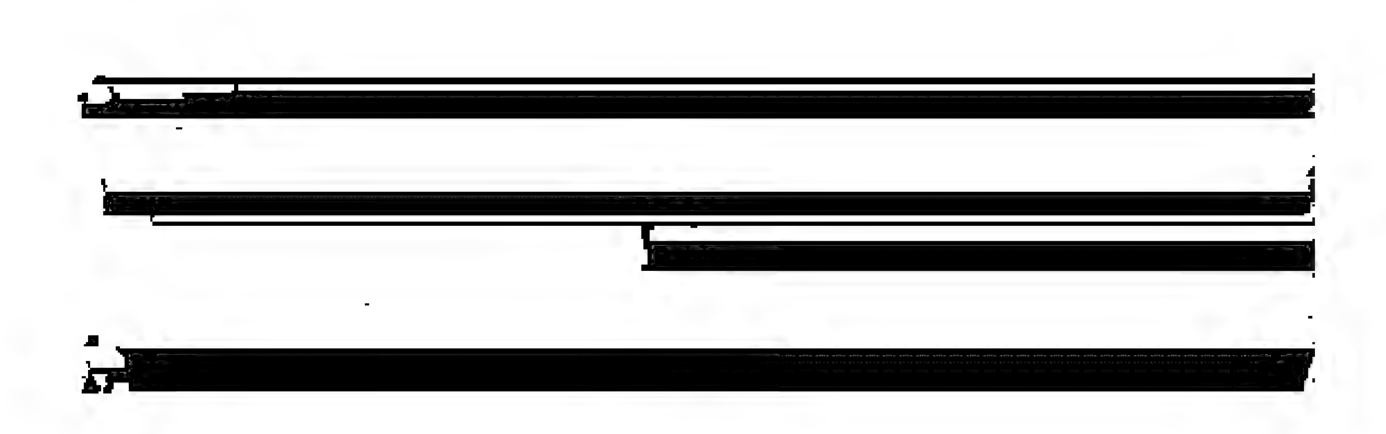
ألا فاسلمى يادار مي على البلا

ولا زال منهلا بجرعاتك القطر

فان لم تكوني غير شام بقفرة

تجر بها الازيال صيفية كدر

واتفضحت عيناه بالعبرة فقلت مه — فقال — اني جلد وان كان مي ماترى . ثم انصرفنا فوالله ما رأيت أشد صبابة منه ولا أحسن صبراً — وكان آخر العهد به ذلك . وله في مية أشعار كثيرة كلها من الغزل الذى يستهوى العشاق وتوفى سنة ١١٧ مائة وسبعة عشر هجرية اه



موريس وسوسان

هناك في أجمل بقعة من الارض بلدة صغيرة من اعمال فرنسا يقال لها (ماتينا) تحتاط بها المناظر الطبيعية التى لايمكن للكاتب وصفها . وتقف ريشة المصور عن تصويرها وعلى مقربة منها واد خصيب اطلقوا عليه وادي الحبيبين . وكثيراً ما كان يجمع فيه حبيب بحبيبته ويتناجيان الحب تحت اشجاره الظليلة . وبجانب انهاره العذبة

ذهب موريس وسوسان يتنزهان في هذا الوادى كعادتهما . وجلسا يتسامران غير أن سوسان لاحظت على حبيبها موريس آثار كآبة كانت بادية على وجهه . ولما مالت الشمس الى المغيب وأخذت أشعتها الذهبية تتوارى وراء الافق البعيد وأخذ النسيم العليل يداعب أوراق الاشجار الباسقة في ذلك الوادي الجميل . تحت هذه الظلال الوارفة وبالقرب من تلك المياه الجارية تناول موريس يد حبيبته ورسم عليها قبلة لطيفة اهتزت لها اعصاب الفتاة فبادرها بقوله ـ لابد من الفراق ياسوسان فاكفهرت سوسان

وقالت ـ ولماذا ذلك ياحبيبي ؟

فتأوه من صدر مندمل وقال ـ ان الواجب يدعوني اليوم الى الخدمة العسكرية للدفاع عن الوطن العزيز حيث يمتشق الحسام فى ساحة القتال . نعم . غداً . . فى صباح غد سأذهب لقضاء هذا لواجب المقدس وعساني أعود اليك سالما فنجتمع اجتماعا لافراق بعده . واذاأبت الايام أن نجتمع فى هذه الدنيا فسوف نجتمع فى الدار الآخرة ونتمتع بتمتع الحياة الدائمة حيث لاموت ولا شقاء

فاجابته سوسان والدمع يبلل وجهها الجميل ـ اذهب بحراسة الله ياموريس . وكن شجاعا باسلا . ودافع عن الوطن العزيز . واذكر دائما انى وهبتك قلبي . واعلم بانك شقيق روحي وعديل نفسي

فضمها موريس الى صدره وقال . ماأطيب قلبك ياسوسان . وماأرق عواطفك . ان كلامك ألذمن الشهد على قلبي الكسير

فتعانقا طويلا وتبادلا قبلات حارة

وفى الصباح ذهب موريس الى حيث يدعوه الواجب

وانضم الى فرقته التى سارت فى نفس هذا اليوم الى ميدان القتال .. ومضى على ذلك اربعة اشهر كان فى خلالها موريس يراسل سوسان وتراسله . ويكشفان مابقلبيهما لبعضهما من الحب الصادق والغرام الشديد . والمراسلة من غير شك كانت سلوة العشاق

ولقد كانت سوسان من اتعس الفتيات حظا . . فأبي الدهر أن يحقق أمانيها . وتتمتع بمسرات هذا الوجود . وبين دوى المدافع . وبريق السيوف فى ساحة القتال سقط موريس مصابا برصاصة نفذت الى قلبه . وقال وهو يجود بآخر نفس

الوداع ياسوسان

في ليلة من ليالى الربيع المقمرة الزاهرة جلست سوسان تحت الصفصافة التى كانت تجلس تحتها مع حبيبها موريس وكان القمر بدراً فى تلك الليلة فاخذ يلقي اشعته الفضية علي وادى الحبيبين فيزيد الوادى جمالا فوق جماله الطبيعى . جلست سوسان المسكينة حزينة والهة . والقت خدها على يمينها وأسدلت شعرها الذهبي على كتفها تفكر بذلك الخبر المفجع الذى قرأته في جريدة الصباح عن تلك المعركة الهائلة التى

جرت في (هوهنلدن) بين الفرنساويين والنمساويين فكانت نتيجتها انتصار الفرنساويين على اعدائهم ولكن كان حبيبها ثمن ذلك الانتصار الغالي .. بكت سوسان كثيراً على حبيبها موريس حتى مزجت دموع عينها بدماء قلبها . تذكرت هذا الحبيب والايام السعيدة التي قضياها معاً . تذكرت قبلاته لها قبيل الفراق عند وداعها فزادها ذلك غماً ويأساً . تذكرت كلماته العذبة وهو يقول لها – ان لم نجتمع في هذه الدنيا فسوف نجتمع في الحياة الآخرة حيث لاموت ولا فناء

علمت سوسان بل تأكدت انها أصبحت وحيدة في هذا الوجود . ولم يبق لها غير والد شيخ كانت تؤاسيه في أمراضه وتعاونه في اتعابه . فاقسمت بانها تحافظ على عهد حبيبها الذي وهبته قلبها . أقسمت ان تبقى عذراء مادامت على قيد الحياة

وما زالت في هواجسها وأفكارها الى ان دقت ساعة الدير الكبيرة مؤذنة بانتصاف الليل . فردت صداها الآفاق مصدعة سكون هذا الوادي الخصيب

انتبهت سوسان مرعوبة وأسرعت مهرولة الى والدها

الشيخ بعد ان استشهدت البدر والنجوم على هذا العهد الذى قطعته على نفسها

دخلت غرفة والدها فوجدته على آخر رمق من الحياة وقد اشتدت وطأة الحمى عليه في تلك الليلة . وعلمت أن ساعاته أصبحت معدودة فهرولت بلهفة نحو فراشه وانحنت عليه تقبله وتخاطبه بارق الالفاظ وأعذبها

فرفع اليها الشيخ والدها طرفه الكليل وقال . اصغى لى يا ابنتى المحبوبة . واعلمى انه لم يبق لى فى هذا الوجود غير دقائق معدودات . وعما قليل سانتقل من هذه الدار الفانية وساتركك وحيدة في هذا العالم المتلىء بالمصائب والآلام فكونى حكيمة صبورة وازرعي خيراً تحصديه فى العالم الثاني الوداع . الوداع . ياسوسان وليباركك الله ياابنتى المحبوبة

قال هذا وفاضت روحه بين يديها . فركعت بقرب السرير ورفعت طرفها للسماء وقالت لم يبق لى غيرك ياالله فكن عونى ونصيرى فى هذا الوجود

وفي الصباح كانت سوسان سائرة حيث شيعت جنازة والدها . ولما واروه في ضريحه ركعت فوق قبره حزينة

وأزرفت دموعا حارة

* * *

وكان لسوسان صديق يقال له هيمان علق منذ زمن بحبها ولم يجرأ على مفاتحتها بهذا الحب لما كان يعرفه عنها من المحافظة على عهد حبيبها موريس . فظن انها بعد موت حبيبها ووفاة والدها . أصبحت وحيدة فى هذا العالم ولا معين لها. فترضى به زوجا

أتاها في صباح اليوم التالى وقال ـ مهلا بنفسك ياسوسان فهكذا حياة الانسان الى فناء وزوال . واذا فجعت بموريس ووالدك . فلك فى صديقك . وحبيبك القديم هيمان خير خلف لاحسن سلف . . . اخالك ياسوسان عالمة بما في فؤادى من الحب الصادق . والوجد المتين .ولم أ كاشفك به فيما مضى . . . أنا اعلم ان المساعدة التى ا كاشفك فيها بذلك شديدة الوطأة عليك.ولكن الحب الذى كتمته في قلبي يربأ بي ان أراك حزينة . وانى أحاول ان أخفف عنك مصابك. وأقدم لك التعزية فهل تقبلينها وان تكوني لى زوجة واعملى بقول الحكيم (ان الحى أفضل من الميت)

فنظرت اليه سوسان نظرة اخلاص واحترام وقالت ـ
اني أشكر لك برقة حديثك . وسمو عواطفك . الا انى
أقسمت لموريس قبل وفاته بان لا أخون عهده .وان اعيش
من بعده عذراء . . . ولو قضيت أنا ان اخنث في هـذا
القسم لما نهى قلبي وعصاني . . . واني اشعر بانتهاء الاجل .
وأظن نني لاحقه به

فخرج هيمان من امامها حزينا مكتئباً

وفي صباح اليوم الثاني وجدوها جثة هامدة لاحراك
بها . . . ولما واروها في الرمس كتب هيمان علي قبرها هنـا
ثوي الجمال الزائل . وهنا دفنت حافظة العهد

هنرى ومرغريت

كان هنرى فتى فى الخامسة والعشرين من عمره بهى الطلعة حسن التقاطيع . مفتول الساعدين . قوى البنية تلوح على وجهه الصبوح دلائل العزم والحزم.والشهامة والاقدام

وكانت مرغريت آنسة حسناء . بديعة الجمال .فتاكة اللواحظ . . . أحبت هنري وأحبها . واتفقا معاً على الزواج. واجابهما الاهلون الى هذه الرغبة وفى تلك الآونة التى تم فيها بين العائلتين هذا الوفاق نشبت الحرب بين تركيا واليونان ـ فدعت الامة اليونانية الشبان لتعبئة الجيش بين مشاة وركبان ومدفعية وبحرية ـ فاندمج هنرى فى سلك المشاة

ومن غريب الصدف ان اليوم الذى دعى فيه هنرى الى الشخو مع الجيش المحارب هو الموعد المضروب لليلة زفافه . فارتدت مرغريت ثياب العرس . واستقلت مع حبيبها عربة أوصلتهما الى محطة السكة الحديد . وجرت خلف عربتها عربات المودعين من الاهل والاخوان . حيث هناك كان

الوداع مؤثراً لاسيما وداع العروسين هنرى ومرغريت .
ولما حان ميعاد السفر قالت مرغريت . اذهب بسلامة الله
ياهنري ولتحرسك ملائكة الله

ثم وضعت يدها على عينها لتحبس دمعة حائرة كانت
تترقرق فيها واستطردت قائلة . اذهب في حفظ الله ورعايته
وعد الينا ظافراً . ثم اذهب الى حومة الوغى . ودافع عن
وطنك المقدس . ومتى عدت انشاء الله منصوراً استقبلك
بثوب الزفاف . اني الآن أزفك الى الوطن . وأتمنى لك
عوداً سعيداً وحينئذ أكون لك . وتكون لك البشرى الثانية
بزفافي اليك

ثم امسكت عن الكلام لانها كادت ان تشرق بدموعها
وكانت تغالب عواطفها امامه لتشجعه وهو سائر الى ميدان
القتال . وعندئذ تقدم والده وقال . ان الوطن يدعوك ياهنرى
وواجب الوطن قبل كل شيء فاذهب تحرسك عناية الله

ثم قالت والدته . يابنى انى لم أرضعك ولم أهتم بتربيتك
الا لمثل هذا اليوم

وقالت شقيقته وهي تودعه . اذهب ياشقيق ودافع عن

بلادك . ان الوطن فى حاجة اليك فاذهب ولا تتردد

فنظر اليهم هنري وقال . نعم سأذهب الى ميدان القتال وهذا هو اليوم السعيد الذي أعرف فيه كيف أخدم بلادى (وليحى الوطن)

فرددت الاسرة باكملها ومن حضر لوداع هنرى هذا النداء وهتف الناس جميعاً (ليحى الوطن)

وما هي غير دقائق معدودات حتى استقل القطار . ووقف الجميع علي افريز المحطة . ولما تحرك المسير هتف هنرى بصوت مرتفع (ليحى الوطن)

فصاح الجمع المحتشد على افريز المحطة مردداً هذا النداء المحبوب . وسار القطار بين ترديد الدعاء للوطن وعاد أهله ومعارفه بعد فرحين مستبشرين . غير ان مرغريت كانت تشعر بانقباض صدرها . وكأن هاجسا خفيا كان يهتف في ضميرها بانها ماعادت ترى هنرى أبداً . وهذا فراق طويل بينها وبينه . فقالت في نفسها . انى احببته حبا خالصا لاشائبة فيه ولا أزال أهواه وأعبده . وكيف يكون حالى اذا ذهب ضحية وطنه . ومات فى سبيل الدفاع عنه . وماذا أعمل

من بعده

وأدركت السيدة ديانا والدة هنرى ما كان يجول فى خاطر هذه الفتاة العذراء فقالت لها اذا قدر الله ومات ولدى هنرى يامرغريت فلا تجزعى أبداً ولا تحزني لحظة لانك ستجدين بعد الحرب التى هى من غير شك ستنتهى ببسالة شباننا الشجعان من يكون لك بدلا من هنري

فجالت الدموع في عينى مرغريت . ثم انسكبت كالوابل الهطل وامسكت عن الكلام فلم تتلفظ بحرف

فقالت لها والدة هنرى لايحسن البكاء يامرغريت فقالت مرغريت أنا لا أبكى ياسيدتي وانى أود ان يعود لى حبيبي سالما أما هذه الدموع التى سكبتها فلم تكن أبداً دموع حزن عليه وانما هى دموع سرور وغبطة تذكرت بها يوم زجوعه

***

ولقد مضت بضعة أشهر وهنري يكتب الى أهله وخطيبته كلما سنحت له الفرص . وكانت هذه المراسلات بمثابة بشير لذويه وحبيبته بما نال من مجد ونصر . وما بلغ

من رقى الى درجات سامية . . . وبعد مدة وصلت الغازيته العسكرية . وفيها ما ناله الجيش من الانتصارات الباهرة . وبعد ذلك ذكرت أسماء من استشهدوا فى المعارك الاخيرة . وكم كان رزء الجميع عظيما . عند ماوجد اسم هنري بين أسماء الجرحى . وان جرحه غير خطر . حزنت أسرته من جراء هذا الخبر المفجع . وحزنت مرغريت أيضاً لانها خشيت ان يموت هنرى وتحرم من هذا الحبيب الذي استحوذ حبه على قلبها . وكل مشاعر نفسها . ولكنها ما كادت تفكر فى الامر طويلا حتى سمعت أصوات الجميع يهتفون بصوت واحد (الموت خير فداء للوطن) وبعد شهر مضى على هذا الحادث وردت الاخبار بما يفيد انتصار الاتراك على اليونان . فى عدة مواقع وان الجيوش اليونانية قد تقهقرت امام هؤلاء الابطال وذاع نبأ توغلهم فى البلاد اليونانية

ولقد كان هنري قبل حدوث هذه المعارك أرسل الى اهله انه قد شفي من جراحه . وخرج من المستشفي وعاد الى ميدان القتال

وحينئذ لم يعد للشك مجالا فى أفئدة الجميع من ان

هنري كان بين شجعان هذه المعارك الاخيرة فلبثوا على أحر من الجمر يترقبون أخباره من حين لآخر . لاسيما بعد انه عم السرور . ارجاء الممالك العثمانية لانتصار الجيوش التركية على اليونان . وازاعت القسطنطينية رسميا هذه الانباء

وفي ذات يوم وردت لوالده رسالة تبين من خطها انها لم تكن بخط هنري ابنه المحبوب . . . فض الوالد الشيخ هذه الرسالة وقرأ امضاءها فكانت من أحد جيرانهم وهو من الشبان الذين اندمجوا مع هنري في ساحة الوغى . ينعى فيها صديقه هنري ويخبرهم بيوم وفاته . وطي هذه الرسالة رسالة أخرى بخط هنري يقدم فيها وداعه الاخير الى والده ووالدته وخطيبته مرغريت

فتناولت ديانا والدة هنري الرسالة الثانية التي كانت بخط ابنها فرأت عليها نقطة من دم أحمر على هذه الورقة البيضاء ـ وكتابة الرسالة كانت تكاد لاتقرأ لانها كانت تدل على ان كاتبها كان في حالة النزع الاخير وان يده كانت مرتعشة وكان يجهد نفسه كثيراً في كتابتها . وهاك نص ما كتب بالحرف الواحد

والدي. ووالدتي وخطيبتي العزيزة مرغريت. وشقيقتي الوحيدة اقدم لكم جميعا وداعي لكم. واشتياقي الكثير اليكم. لقد اديت واجبي نحو الوطن المقدس. وها أنا قد افتديته بروحي. بل وحياتي الغالية. لا اقدر ان أعبر لكم عما اصابني من الحزن على فراقكم. وباني محروم من آخر نظرة اتزودها منكم واليك ياحبيبتي مرغريت القبلة التي كنت أعدها لليلة الزفاف. انني على آخر رمق من الحياة. واشعر بآخر نفس يتردد. وها أنا استسلم للموت فالوداع الوداع و . . .

وما كادت والدته تقرأ هذه الرسالة حتى ضجوا جميعاً بالبكاء وقال الوالد ـ انه وان كان قد مات قتيلا في ساحة الحرب. فاذكروا انه قد أدى الواجب فصاحوا جميعا. صدقت الا رحمة الله عليه انه أدى الواجب.

وقالت العذراء مرغريت ـ نعم. نعم لقد أدى الواجب واستخرطت في البكاء والعويل. وبعد برهة هبت واقفة وقالت وهي تشهق بالنحيب ـ أنه مسرورة وليس في نفسي أن يكون لي خطيبا سواه. . صلوا جميعا لاجله. أما أنا فاني ذاهبة لاصلي هناك

ثم همت بالخروج. فاعترضها الوالدوقال ـ والى أين أنت ذاهبة يامرغريت ؟

فقالت ـ الى حيث يذهب التعساءوالبؤساء الى حيث انقطع عن العالم المملوء بالمتاعب والا كدار

فبكى الجميع وقال الوالد ـ مهلا بنفسك يامرغريت ورفقا يابنيتي بشبابك الغض

فتنفست الصعداء وقالت والدموع تتساقط على خديها اني اريد أن أصلي على روح هنري . وعلى أرواح الذين استشهدوا معه في هذه الحرب .

ثم سارت بخطوات موزونة وهي تقول ـ نعم اني ذاهبة الى الدير . . . الى الدير . . . الى الدير

وبعد اسبوع وصلت رسالة من رئيسة دير ماري جرجس إلى عائلتها تفيد انها توفيت هناك ودفنت في مقابر الشهداء

هنري الرابع وايزابل

حدثت وقائع هذه القصة في مدينة باريس حيث كان هنرى الرابع ملك فرنسا والنافار يهيم غراما بالآنسة (ايزابل ابنة الكونت مارسن) وتراها مفصلة فيما يلى

كان الكونت مارسن أحد ملوك المال بفرنسا . ومن ذوى الاملاك الكثيرة والاقطاعات التى يزيد ريعها على مالا يقل عن الثلاثة مليون فرنك سنويا - وكان له أبنتان احداهما كانت زوجة الفيكونت فيلامين ولم يمكث معها غير سنة واحدة ثم قتل فى احدى المعارك الحربية مدافعاً عن مولاه الملك والصغري هي الآنسة أيزابل دي مارسن وكانت من جميلات باريس اللواتى يضرب بمحاسنهن المثل وفوق ذلك . فهي آية من آيات الجمال . وبدعة من بدع الحسن ولا بدع فى ذلك فقد لقبوها (مليكة الحسن) . . كانت خفيفة الروح . جذابة الملامح : وحيدة في صفاتها مكملة بمكارم الاخلاق . . أقبل عليها طلاب الزواج من ابناء الامراء . وأعيان فرنسا ووجهائها تمد اليهم يدها

طمعا في جمالها • ومالها ونسبها فكانت ترفض هذه الطلبات بحجة أنها لا تميل الى الزواج وبينما هى ذات يوم تتنزه علي ضفة نهر السين فى عربة فخمة يجرها مطهمان من عتاق الخيل الجياد أبصرت فتى من ابناء الجندية عرفته لساعته انه الجنرال (باتريس) وكان لا يبلغ الثامنة والعشرين من سنى حياته ، جميل الطلعة ، حسن الهندام ، بل هو من ذوى الوجاهة ، والشكل البديع الخلاب الذى يروق فى عين المرأة ما كادت تراه الآنسة إيزابل ، حتى صبغ الخجل خديها وشعرت أن قلبها يخفق خفوقا شديداً

أما هو فاعمل المهاز في خاصرة جواده فانطلق به كالسهم وفى لحظة قصيرة كان بجوار العربة ثم رفع قبعته مسلما على الفتاة . وقال ـ سلام عليك ياسيدتي العزيزة ايزابل دي مارسن

فابتسمت له إبتسامة فاتنة وقالت ـ بك أهلا ياسيدي الجنرال

وسارا معاً يتكلمان فكانت حركاتهما تدل على حب متبادل بينهما ولما وصلا إلى شارع كونجزيه ـ وقفت العربة

أمام قصر دى مارسن (والدها) ونزلت الفتاة وترجل الجنرال باتريس فتأبطت ذراعه ودخلا القصر بخطوات موزونة

وبعد شهر من تاريخ هذا اليوم اقترنت ايزابل دى مارسن بالجنرال باتريس . وأصبحا زوجان متعادلان

وكان من سوء حظهما . انهما دعيا الى قصر اللوفر لحضور المهرجان الفخم بعيد ميلاد الملك هنرى دى نافار

وكانت هذه الحفلة قد بلغت الغاية القصوي من الابهة والجلال حيث امست باريس أيضاً . بل فرنسا باجمعها تقيم الزينات والحفلات والولائم . وتشارك هذا الملك فى عيد ميلاده وأشرف الملك على هذه الحفلة العظيمة . . وقعت عينه بغتة على الجنرال باتريس . وزوجته ايزابل فاستهواه هذا الجمال وصار باهتا فيهما . اعجبته ايزابل أيما اعجاب حتى أنه اصدر أمره السامى بمثولهما بين يديه . فنالا من تعطفات جلالته ماجعلهما يشكران حفاوته بهما

وأصبح هذا الملك المتهتك الخليع يهيم غراما بايزابل . ووقع فى شرك هواها . . أحبها من صميم قلبه حبا خالصا وصار كثير التفكير . وهو كما لايخفي على الناس زير نساء . بل

رائض خشاء . يواصل ويوادد . وله مع الغانيات نوادر تكاد
أن تكون خبر قصص من قصص الحب والهيام

احب هنري ايزابل حبا جما . وهو موقن انها ستقع في
شرك هواه متى غازلها ولم يعلم . ان ايزابل تهيم حبا بزوجها
باتريس وتكاد أن تعبده عبادة . وهو كذلك يهيم بها هياما
يكاد أن يكون جنونا

وكانت كلمة الملك في ذلك العهد نافذة المفعول كأنها قانون
يجب احترامه ـ فاستدعى الجنرال باتريس وقال له ـ اعلم
ياصديقي الجنرال ـ اني قد اتخذتك منذ اليوم مستشاراً فكن
أميناً على سر مولاك

فقبل باتريس الارض امام الملك وقال ـ هذه تعطفات
سامية لا أنساها مادمت حيا ياذا الجلالة . وأخذ هذا الانعام
يتردد في باريس وبين طبقات الامة الفرنساوية . رفيعها
ووضيعها .. وأدركت ايزابل مايريده الملك من وراء هذا
الانعام . وانها هي المقصودة بالذات ـ فصممت في نفسها
أن تحافظ على حبيبها هذا الزوج الذى اختارته أن يكون
شريك حياتها وتصون حبه . وترفض أوامر الملك مهما كان

من نتيجة هذا الرفض . وقالت وهى تثبت ماعزمت عليه (لن اكون لغير من احبنى)

وفى اليوم التالى صدرت أوامر الملك أن يكون باتريس بصفته مستشار الملك مقيما معه فى القصر ومعه زوجته

وفي هذا اليوم حضرت اليها اختها ريتا . وطلبت منها أن تذهب معها الى احد (فاتحى البخت) . فلما ذهبتا إلى هناك طلبت من الرجل أن يفتح لها عن مستقبلها فاجابها الى طلبها ثم قال لها ـ أن مستقبلك مظلما رهيبا وأن سوء مصيرك سيكون فظيعا . وسيحدثه أعز أصدقائك عندك . . . فلم تحفل بما قال واعتقدت انها خرافات وصار الملك هنري يتحين الفرص ليراها ثم زاد شغفه بها .. وفكر هنري في طلاق زوجته مرغريت ومتى تحصل على ذلك بواسطة البابا ثم يقتل الجنرال باتريس بحيث لاتعلم ايزابل ويتزوج بها

وفى صباح هذا اليوم أرسل فى طلب مستشاره الجنرال باتريس وقال له ـ انك ستذهب صباح غد الى روما حيث تقابل البابا وتعرض عليه الرسائل التى سأسلمك إياها ومتى عدت بأمر طلاق هذه الملكة سأحسن لك الجائزة واجعلك

رئيس البلاط - وسأرسل معك كل من جاك إيفان
وبارى دى موصان يساعداك في هذه المهمة

فقبل باتريس هذه المهمة وعاد إلى زوجته فاخبرها بامر
هذه المهمة التى كلفه بها الملك . . . وفي الصباح توجه إلى
اللوفر حيث قابل مولاه واستلم الاوراق واستقبل الطريق
بمن معه يقصد ايطاليا . . . ولما دخل روما تشرف بمقابلة
البابا وحينئذ صدرت أوامره السامية بوجوب الطلاق .
ولما تحصل على هذا الطلب انقلب راجعاً وهو شديد
الشوق لزوجته - وقبل وصوله إلى نابولى بثلاث مراحل
غافله جاك إيفان . وطعنه بخنجره طعنة نجلاء . كانت
القاضية على حياته ونظر الى جاك ايفان وقال له لقد قتلتنى
غدراً ولما اختلجت روحه قال وهو يجود بروحه الوداع ياايزايل
ثم مات فتركاه في الصحراء طعاما للوحوش

* * *

وانتقلت ايزايل بعد رحيل زوجها الى قصر والدها
بمدينة فنتناوا حيث هناك قد خيمت على هذا القصر السعادة
والهناء ونشرت السكينة جناحيها على هذه الجهة التى ما كان

يكدر صفوها مكدر

وازداد هنري غراما بايزابل حتى صار لا يطيق الصبر عنها وأخيرا عزم على الذهاب اليها بنفسه فنهاه بعض اخصائه عن ذلك بقوله انك أيها الملك لا تستطيع الذهاب الى هناك لان الطريق وعرة المسالك ورغما عن صعوبتها تجدها محتشدة بقطاع الطريق ومن ادراك فربما يخرج عليك كمين من أعدائك

فقال الملك اني أعرف كيف أذهب

ثم تخفى في زي فلاح بسيط لكي يخفى ذاته عن عيون الجواسيس ولما وصل الى قصر دي مارسن والد ايزابل — اغتنم فرصة انشغال الخدم ودخل القصر على حين غفلة فقابلته اختها فأخذته الى غرفتها وعادت في الحال إلى غرفة أختها ايزابل لتخبرها بحضور الملك وهذا في شرعها شرف عظيم لها

وكانت ايزبل في ذلك الحين جالسة في غرفتها تفكر في حبيبها الذي طالت غيبته وما عادت تراه — دخلت عليها اختها وقالت بماذا تفكرين ياايزابل ؟

فقالت — لاشيء ياأختاه

فقالت ـ لقد حضر الملك هنرى لزيارتك يا ايزابل . وانه يريد أن يراك الساعة

فنظرت ايزابل إلى اختها نظرة غاضبة وقالت ـ انى لاأطيق أن أراه

فدقت الفتاة على صدرها وقالت ـ كيف ذلك اترفضين طلب الملك ؟ .. انه جميل الطلعة وهو متخفف في زي فلاح فلم تكترث إيزابل . ولم تهتم بامره ـ وقابلته مقابلة مقتضبة وبصد مفرط . ولم تعره اهتماما . وخرج من عندها وهو يقول (انها لحسناء وهيهات أن اتركها لاني لااستطيع أن أعيش بدونها)

وفى تلك الايام كانت الكلمة للملك : والملك من غير شك سيد البلاد . فكان يكتب اليها بحبه وغرامه . أما هى فكانت لاترد عليه . وإذا طلب منها رداً كانت كتابتها اليه مقتضبة جافة . واستمرت إيزابل محافظة على عهد صداقة حبيبها باتريس ّ آلت على نفسها أن لاتخون عهد الزواج المقدس .

وفى مساء يوم دخل عليها الملك هنرى دى نافار وقال لها

اعلمى ياإيزابل إني أنا الملك وقد حضرت لاخبرك بانك ستكونين زوجتى

فدهشت إيزابل وقالت . وكيف ذلك وأنا متزوجة ؟

فقال لها - إن زوجك قدمات . وعما قليل ستكونين ملكة فرنسا . . لان موغريت دي فالوا قد صارت حرة وصدرت ارادة البابا بالطلاق

ولما اعلمها بذلك وعرفها بتاتم مخصوصها . وضع فى اصبعها خاتم الزواج . وصدرت أوامر الملك بتحديد ليلة الزفاف وفى صباح هذا اليوم المحدد للزفاف رسميا قامت إيزابل فارتدت بملابس العرس وجاءت بقارورة فيها مادة من السم الزعاف . وجلست فى سريرها وتناولت هذا السم وما هى غير بضع دقائق حتى صارت في حالة مريعة من الالم واسامت الروح

ودخلت عليها شقيقتها فوجدتها راقدة بثياب العرس فأرادت أن توقظها فاذا هي جثة هامدة لاحراك فيها بكت عليها كثيراً . ووصل الخبر الى الملك فحضر اليها

باكياً منتحبا ولما نزعوا ثيابها وجدوا عند رأسها رقعة تقول فيها . لقد اشجاني كثيراً موت زوجي باتريس . ولم أطق أن أعيش بدونه . فاردت أن ألحقه الى العالم الدائم حيث لاموت ولا فناء

ألبرت وماري

في صباح اليوم الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٨٩٦ ميلادية خرج المسيو اندريه مكاتب جريدة الكابتال من بيته يقصد ادارة جريدة ليوافيها ببعض الاخبار وبينما هو يخترق شارع فرنسوا الاول . أبصر فتاة صغيرة لا تتجاوز العاشرة من عمرها تسير بسرعة وهي تضطرب . وعلى محياها دلائل التعب الشديد . فشعر بعاطفة تدفعه اليها فاقترب منها وقال لها . مهلا يا ابنتي لماذا أنت تسرعين هكذا وما سبب هذا الاضطراب

فتوردخداها بالحياء وقالت والعرق يتصبب من جبينها ان بالمنزل الذي نقطن فيه فتى يحتضر ويطلب كاهنا وكان المسيو اندريه يعرف بيت الكاهن . ولكنه من سوء

الحظ لم يجده هناك . ولما علمت الفتاة ذلك بكت وقالت ويلاه إن (البرت) يلح فى طلبه

فاخذته الشفقة حين سمع ذلك وضم الفتاة إلى صدره وقال لها . من العبث يا ابنتى أن نجد الآن كاهنا وسار معها حتى وصلا الى المنزل وقادته إلى غرفة المريض ولكنها لم تستطع الدخول . فدخل المسيو اندريه الغرفة فوجد المريض شابا لم يتجاوز الثلاثين من عمره . جميل الوجه قد ظهر عليه الشحوب وعلته صفرة الموت فتقدم منه ووضع يده على جبينه الملتهب فعلم أنه فى حالة العدم وأن الحمي قد بلغت منه مبلغاً عظيما . وأن خطرها لاشك واقع به وطال السكوت برهة من الزمن وأخيراً تخلص المسيو اندريه من ذهوله وسأل المريض كما يسأل الاطباء مرضاهم .اتشعر بألم ياعزيزى ؟

فنظر اليه المريض نظرة عميقة جعلت المسيو اندريه في ذهول لا ينساه أبداً . وكأنه يريد ان يقول ـ اتسألنى عن مرضى وأنا أشعر باني احتضر

واعترى المسيو اندريه الخجل الشديد فقال . لم نجد الكاهن ياعزيزى فهل ترد ان أقوم لك ببعض الواجب بدلا

منه . فأخذ المريض ينظر اليه نظرات عميقة . كانه أراد ان يشبر غور قلبه بسريرته الطاهرة ليعرف كنه نفسه ونسر ضميره . وكانما الفتى لا تزال في نفسه ريبة من أمره فقال المسيو اندريه . لا تخف ياسيدي كن واثقا انني سأحفظ لك سرك حتى يوم مماتي

فقبض المريض على يدى المسيو اندريه باطف ونطق لسانه بكلمات شكر متقطعة .

فاعاد عليه المسيو اندريه ماوعد من حفظ سره . فهز له المريض رأسه علامة الشكر والامتنان

وكانت الحمي فى ذلك الوقت قدعقدت لسانه فلم يستطع ان يتم حديثه . وبعد قليل أشار للمسيو اندريه على خزانة كتبه . فقام المسيو اندريه وفتحها وتناول منها صندوقا صغيراً فاحضره اليه . ووضعه بجانبه . فوضع المريض يده تحت وسادته واخرج مفتاحا وناوله له ففتحه فاخرج منه ملفا جميل الصنع . وقد كتب عليه بخط واضح لطيف (الى السيدة مارى دى ليبيه) بباريس ولم يكد المسيو اندريه يضع الملف بين يديه حتى سحبه منه المريض بشغف شديد .

وضمه الى صدره وأخذ يبكى وينتحب

وساد على الغرفة سكون رهيب . وكان المسيو اندريه ينظر الى الفتى نظرات تطفح حنوا واشفاقا حتى كانه تألم لبكائه فصار قلبه يرتجف حنانا على هذا البائس المسكين وقال له . كفاك بكاء فقد اثرت عواطف اشجاني . وبي اعدك بشرفي ان أسلم هذه الرسائل للسيدة مارى وان أحفظ لك سرك مادامت الحياة الدنيا

ولم يستطع اتمام كلامه فغمره هذا المنظر المفجع فأخذ يبكى كما تبكى الاطفال وقد اثر فيه التعب الذى كان أثره لا يزال باقيا فى نفسه من الليلة الماضية فاستسلم الى اوهامه وسبحت روحه في عالم الخيال ثم غفت عينه وهو لا يشعر فنام نوما هادئا وبعد مدة لا يعرف مقدارها استفاق على سماع صوت شديد عرفه انه صوت المريض وهو يلفظ النفس الاخير

فهب المسيو اندريه من نومه مذعورا ثم تناول ملف الرسائل وطواه فى جيب ردائه وبعد ساعة من الزمن عاني فيها البرت آلاما شديدة فاضت روحه الكريمة لخالقها

وكان في تلك اللحظة قد حضر عميد العائلة وكان رجلا وقوراً قد بلغ الخمسين من عمره تالم كثيراً لوفاته وبكي بكاء مراً ـ ودخلت عليهم ابنة صغيرة عرف المسيو اندريه بالبداهة انها ابنة عميد العائلة واخذت تضع خدها الجميل علي صدره وهى تبكى بحرقة وترثيه رثاء يفتت الاكباد فاقترب منها المسيو اندريه وقال رفقا بنفسك يا ابنتى فنظرت اليه الفتاة نظرة عميقة وقالت آه ياسيدي انك لاتعلم بحزني عليه اني أحبه أكثر من والدى ولو كنت تعرفه لعرفت انسانا فاضلا كريما دمث الاخلاق لين العريكة أبي النفس شهما شريفا

ثم سكتت قليلا وأخذت تقبله وتنطق بكلمات كان لها في نفس الرجلين اسوأ تأثير

وبعد ساعة أعدت معدات الدفن وحمل نعش الفقيد على عربة تجرها أربعة من الخيل الجياد حتى وصلوا به الى المقابر حيث هنالك واروه فى مضجعه الاخير

فعاد المسيو اندريه الى بيته وهو فى منتهى الحزن على هذا الشاب فكان خياله لايبرح انسان عينيه ـ واقبل الليل ونامت العيون وآوت كل نسمة الى مضجعها وسكنت الرياح

ولايزال المسيو اندريه ساهراً قلقاً يطلب الراحة فلا يجدها ويود ان ينام فلا يعرف سبيلا للغمض وما زال كذلك حتى طلعت الشمس ثم دقت الساعة السابعة فدخلت عليه خادمته وبعد ان حيته تحية الصباح قالت له لقد هيأت تلك طعام الافطار ياسيدى

فوجد نفسه مضطراً ان يلبس ثيابه ويتناول طعامه ويخرج ـ

وكان بوده أن يذهب الى قصر السيدة ماري ليسلمها رسائل (البرت) ولكنه وجد أن الساعة لاتزال مبكرة ففضل أن يزور البرت فى قبره ـ فسار على قدميه حتى بلغه حوالى منتصف الساعة التاسعة صباحا . وكم كانت دهشته عظيمة حينما رأى امرأة حسناء . باهرة الطلعة . مليحة الشكل جاثية على قبره . اقترب منها وهى لاتشعر به . فطرق أذنيه صوتها الحنون وهي تبكى . خطى نحوها بضع خطوات . ولكنه وقف جامداً على مقربة منها . ولم يستطع أن يخاطبها وقف حائراً مبهوتا فلما تمادت فى البكاء والنحيب . اشفق على عينيها الجميلتين وخاطبها بصوت ضعيف ـ عفواً ياسيدتي

خففي عن نفسك قليلا . فالدنيا دار فناء . والآخرة دار بقاء وكل انسان علي فراق وكل شئ إلى شتات . وكل مخلوق إلى ممات . فاطلبي الصبر . وان كان مراً

فظهرت عليها الدهشة وسكتت قليلا . ريثما تستجمع رباطة جأشها . ثم رفعت رأسها وقالت ـ شكراً لك يا سيدى أتعرف هذا المسكين ؟

فتردد المسيو اندريه وصار لا يحير جوابا فباغتته بقولها أتعرف قصته ؟

فقال ـ لا يا سيدتي

فنظرت الى القبر وقالت ـ ما أكبر نفسك ياالبرت لقد كنت تكتم سرك حتى عن اصدقائك وأعزائك

ثم انحنت على القبر وأخذت تبكى ثانية

فقال لها المسيو اندريه ـ ان المصاب جلل والمصيبة عظيمة غير أن الصبر أولى بك وأجمل . فرفقا بنفسك ياسيدتي فرفعت اليه رأسها . ونظرت اليه بعينين تطفحان حبا وجراة . . ودموعا وقالت ـ كنا نسكن بيتاً واحداً وكان البرت أكبر مني بخمس سنوات وكان لا يرانا أحد

إلا ذاهبين الى المدرسة أوعائدين منها أو لاعبين في فناء المنزل أو مجتمعين في غرفة المطالعة فكنا لا ندرى لذة العيش إلا ونحن الواحد بجوار الآخر — كنت لا أرى الهناء إلا بقربه ولا ينظر نور السعادة إلا من فجر ابتساماتي ـ نما الحب في قلبينا وتملك نفسينا فامتزج بدمائنا واعتنقت روحى بروحه ـ وكان يشعر بالوحدة والالم ان غبت عنه كما كنت أشعر بالحزن والضجر ان تأخر عن ميعاده ساعة . . دارت الايام دورتها ونحن على هذا الحال . حتى فاجأنا القدر بوفاة أبيه . فحزنت والدته لهذا الحادث حزنا قضى على حياتها بعد ثلاثة اشهر . وأصبح البرت وحيداً في هذه الحياة . فكان يقول لى ـ لم يبق لى ياماري في هذه الدنيا سواك . ان اليوم الذى أشعر فيه بخيبة آمالى . وانقطاع حبل رجائى . يجب أن يكون آخر يوم من أيام حياتي . فلا خير في حياة يعيش فيها الانسان بغير قلب . ولا خير في قلب يخفق بغير حب

ثم أخذت تبكى بكاءً شديداً وقالت . ولكن أبي رفض أن أتزوجه لانه لايملك اكثر من مرتبه الضئيل . تزوجت

كما شاء أبي رجلا يماثله في الثروة والجاه . فشق ذلك علي البرت وهو يعلم تماما مابذلته من الجهد مع والدى من أجله .

ثم سكتت طويلا وقالت . ثم افترقنا وكنت على الدوام أرسل اليه رسائلي مع خادمتي الخاصة بي دونه علم زوجي بذلك . حتى أفسد على (البرت) حياته أو قضى على البقية الباقية من آماله .. كنت الح عليه في رسائلي أن يتزوج بعد أن حكم علينا القضاء حكمه القاسي . وأن يتخذ لي صديقة مخلصة وفية . ولكنه كان يرفض ماأعرض شأن المحب الصادق ويقول ــ لقد ملأ حبك قلبي فأصبح من المستحيل نزع صورتك منه

وفيما هي تقص قصة حبيبها علي المسيو اندريه . ثارت عواطفها . وازداد انفعالها .. فاخذ المسيو اندريه يدها بين يديه ليخفف عنها شيئاً من آلامها

فقالت له بلطف . هلم بنا ياسيدي نعود إلى البيت وكانت عربتها تنتظرها خارج المقبرة فركب المسيو اندريه معها وسارت بهما العربة تنهب الارض نهبا . وبعد قليل قالت بصوت ضعيف مضطرب . لقد ظللت علي اتصال به حتى

أصابته الحمى فحاولت أن أراه ولكن ذهب جهدي هباء حتى أبلغتنى الخادمة بموته مساء الامس

ثم سكتت قليلا . وهى تجفف عبراتها ثم قالت . ولقد حاولت أن أراه قبل أن يوارى التراب محاسنه . ولكن زوجى أبي وأصر على رأيه

ثم أخذت تبكى ثانية فقال لها المسيو اندريه ـ حيا الله هذه العاطفة الشريفة . والنفس الطاهرة النقية

ثم أخرج من جيبه ملف الرسائل وقدمه لها بقوله . لقد أمرنى البرت بتسليم هذا الملف لك

ثم أخذ يقص لها قصته معه . فأخذت الرسائل بين شفتيها الجميلتين . وصارت تقبلها بعطف وحنان . وبعد ذلك ضمتها الى صدرها . ثم اطلقت لدموعها العنان

ولما وصلت بنا العربة إلى القصر . وجدت أن السيدة مارى في حالة لا تستطيع معها النزول من العربة ـ فحضرت الخادمة وساعدتنى على انزالها ثم أرقدناها على سريرها

وحضر زوجها فارسل فى طلب الاطباء . غير أن حزنها على حبيبها كان قد أثر عليها أسوأ تأثير

وبعد ثلاثة أيام صدرت جرائد الصباح في مدينة باريس مملئة خبر موت السيدة مارى دي ليبيه (شهيدة الحب والواجب . ودفنت مع حبيبها البرت فى قبر واحد بناء على طلبها من والدها

فوستا وكودى

كانت أسرة دي جالين من أشهر الأسر الفرنساوية العريقة في المجد . توارثت شرفها التليد ما يزيد عن قرن ونصف غير ان الله عزوجل مغير الاحوال . فقد شاء ان تندثر هذه الاسرة فلم يبق منها غير عميدها الكونت فيرمين دى راك جالين . وابن أخيه الفيكونت ميراند دي جالين

وكان للكونت فيرمين فتاة حسناء تناهز الثمانية عشر ربيعا . متوسطة الجسم فلا هى طويلة بائنة ولا هى قصيرة شائنة ولا هى غليظة ولا هى رفيعة بارزة النهدين بردية الساقين مهضومة الخصر غليظة الكفل جيداء العنق مستديرة الوجه كانه البدر واسعة العينين زجاء الحاجبين سوداء الشعر صغيرة الفم سريعة الفهم ما تكاد العين ان تنظر أجمل منها

اسمها الآنسة فوستا تربت مع ابن عمها الفيكونت ميران الذى كان يعادلها سنا وكان هذا الشاب قد ماتت والدته وهو فى سن العاشرة ولما بلغ الثالثة عشر مات والده فتكفل بتربيته عمه الكونت فيرمين فأخذه عنده في القصر فتربي مع الآنسة فوستا فى قصره ..

وكان الفيكونت فيرمين قد ورث عن أبيه أموالا طائلة وكانت له ثروة هائلة يعيش من ريعها طول حياته براحة بال وكان عمه الكونت يتمنى من كل قلبه ان يزوجه بابنته فوستا ولما أتم ميران دعلومه بفرنسا رغب في الالتحاق باحدى جامعات فينا بالنمسا فترك ابنة عمه على أمل ان يعود اليها فيتزوجها وتواعد مع عمه على ذلك

وتصادف ان الكونت أخذ خطه فى الاقول فكان يخسر فى جميع مضارباته حتى بات علي شفير الافلاس

وكانت فوستا لا تميل الى ابن عمها وتستثقله ولا تشعر انها تميل اليه وتجهل كل الجهل ميوله اليها

* * *

خرجت فى مساء يوم من قصر والدها فذهبت الى

الحدائق العظيمة التي وضعتها للنزهة بلدية فرنسا وبينما هى كذلك ابصرت فتى رشيق القد باهر الهيئة صبوح الوجه ما كادت تراه حتى وجدت ذاتها متجهة اليه وكأنما الفتى شعر بشعورها فجلس على طرف المقعد الجالسة عليه فابتهجت فوستا وأخذت تمتع ناظريها بمحاسنه

وكان الفتى زاهل العقل وقد تاهت أفكاره في معاني جمال هذه الحسناء

فاقترب منها متورداً وقال — هل سيدتي من باريس ؟

أجابت نعم ياسيدى . ولماذا هذا السؤال

أجاب لانني اتردد على هذا المكان ولم اتشرف برؤيتك إلا اليوم

فقالت — هذا صحيح — وهذه أول مرة وطئت فيها هذا المكان

وقد وجدا للحديث معنى فاخذا يتقابلان وما هي غير مدة حتى توطدت بينهما دعائم الحب وتعاهدا على الزواج وعرفت فوستا ان اسمه كودي وكودى عرف صاحبته فوستا

وبعد ذلك حضر الفيكونت ميراند . بعد أن نال اعظم شهادة عالية . وتقدم الى عمه يطلب زواجه بفوستا

وكم كان سرور الكونت عظيما فأجاب ابن اخيه الى طلبه واخذ يعد معدات ليلة الزفاف . وعلمت فوستا بما حصل من والدها فأرادت أن تمانعه فاجتمع بها فى خلوة وقال ـ يا ابنتى العزيزة ـ لقد ذهبت اموالى ضياعاً وأصبحت على شفير الافلاس . واذا لم يحصل زواجك بالفيكونت ميراند . فلا بد من وقوعي فى ورطة الفقر . واشهار افلاسى للجميع

وهنا ادركت فوستا بالخطر المحدق بها فاذا هي ابت الزواج بالفيكونت فقد عرضت والدها للهلاك والدمار ووجدت أن أعظم فائدة تنالها أن تتزوج بابن عمها الفيكونت عملا بارادة والدها . ولكنها ستجعله في هناء مابعده هناء

وبعد أن صممت على ماجال بافكارها أظهرت شجاعة فائقة وصارت تجامل مجاملة غريبة تدل على أنها هائمة به وأن حبها له لايعادله حب . جاءت ليلة الزفاف فكانت على منتهى البشاشة والايناس . وانتهت حفلة العرس بكل مظاهرها وصار الفكونت يحسد نفسه على حب ابنة عمه

له فهام يحبها هياما . وذهبا لقضاء شهر العسل على شواطيء فرنسا . وبعد أن انتهى الشهر ـ قررت بالمودة صباح غد . وقالت له

يجب أن نشرب كأسين من الشمبانيا على سر سعادتنا المقبلة

ووضعت في الكاسين سما زعافا لايلبث شارب الكأس أكثر من ربع ساعة

شرب العروسان كأسيهما تحب بعضهما . وما كاد يشقر السم فى جوفيهما حتى صرحا من الالم واعتنق كل منهما صاحبه

ووصل خبر نبيهما الى الكونت فخضر الى مكان الحادثة وظلت الجريمة محفوظة ولم يستوف احد على الفاعل

وآل الميراث الى الكونت الذى كان متأكداً أن ابنته قد قامت بواجبها فضحت بنفسها فى سبيل هنائه وهكذا وفاء الفتاة الشريفة لوالدها

